

مكتبة الشعراوي الإسلامية

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

الشیطان والإنسان

فضيلة الشيخ

محمد متولي الشعراوي

رئيس مجلس الإدارة:

إبراهيم سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
 سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَمْرَهُ تَكْوِينَهُ هَذِهِ بَلَّتْ
 الَّتِي مَنَعَتْ رَحْمَةً مَلَّتِي خَلْقَهُ عَلَى
 مَرْبُوعِ الْهَرَمِ وَنَفْسِ الْأَنْبِيَاءِ الْإِلَهِيَّةِ بِهَيْبَتِهِ
 وَبِهِ نَسْأَلُ الْهَدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ عَم

محمد بن علي السراوي

الفصل الأول



من هو الشيطان ؟

من هو الشيطان ؟

سؤال طالما دار في عقولنا .. دون ان نجد له جوابا .. إن الشيطان غيب عنا .. يرانا ولا نراه .. يهمس في آذاننا ويوسوس لنا دون ان نعرف اين هو .. ولا ماذا يفعل .. ولذلك يبقى السؤال .. من هو

الشيطان ؟

الله سبحانه وتعالى - رحمة منه بعقولنا - أعلمنا من هو الشيطان .. وماهى قصة عداوته للإنسان .. وكيف نشأت .. وكيف نواجهه ونتغلب عليه وعلى كل القوى الخفية والظاهرة في الكون ..

الله تبارك وتعالى يأمرنا ان نستعيز به .. ذلك لأن الله جل جلاله .. قاهر فوق كل خلقه .. المؤمن منهم والكافر .. والطائع منهم والعاصي ، والذي له اختيار ، والمقهور على الطاعة .. كل هؤلاء مقهورون لله سبحانه وتعالى .. فلا شيء في كون الله يخرج عن امره .. ولا شيء في كون الله يخرج عن مشيئته .. ولذلك يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

(الآية ١٨ سورة الانعام)

الله سبحانه وتعالى .. لا يخرج شيء في كونه عن مراده الفعلي ، ولكن يخرج الذين اعطاهم الحق جل جلاله الاختيار عن مراده الشرعى .. أو منهجه في إفضل ولا تفعل .. وهم يخرجون عن هذا المنهج باختيار الله سبحانه وتعالى .. لأنه

جل جلاله .. هو الذى خلقهم قادرين على الطاعة ..
 وقادرين على المعصية .. ولو أنه تبارك وتعالى .. أراد أن
 يخلقهم مقهورين على الطاعة لفعل .. وهذا المعنى تجده فى
 قول الحق تبارك وتعالى :

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِن نَّشَاءُ نُنْزِلْ
 عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ﴾
 (الزمر ٢٠ : ١٠٢ سورة الزمر)

وهذه الآية خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..
 الذى كان يحز فى نفسه .. أن هناك من يرفضون الإيمان ،
 وكان هذا الحزن والأسى .. لأنه كان صلى الله عليه وسلم ..
 يعرف ما ينتظرهم فى الآخرة .. من عذاب مهين خالد باق ..
 .. ولذلك ولأنه رحمة للعالمين .. كان يريد أن ينقذهم ..
 من المصير الذى ينتظرهم .

الله سبحانه وتعالى يخبره هنا بأن هؤلاء وإن خرجوا عن
 مراد الله الشرعى الذى أراده لهم بالإيمان به ، واتباع منهجه ،
 فإنهم لم يخرجوا عن مراد الله الفعلى .. لأن الله جل جلاله إن
 شاء جعلهم جميعا مقهورين على الطاعة .. ولكن الله سبحانه
 وتعالى .. أراد لهم أن يكونوا مختارين .. فى أن يؤمنوا أولا
 يؤمنوا .. يطيعوا أو يعصوا .. فأعطاهم الاختيار فى أن يفعلوا
 أو لا يفعلوا .. هذا الاختيار تابع عن إرادة الله سبحانه
 وتعالى .. ولولا تلك الإرادة ما كان هؤلاء مختارين فى أن
 يطيعوا أو أن يعصوا .. إذن فلا شيء فى كون الله يخرج عن
 إرادة الله سبحانه وتعالى .



وصف الشيطان

اننا قبل أن نغضى .. لابد أن نبين الفرق بين وصف الشيطان .. وبين الشيطان نفسه .. الشيطان كوصف عام معناه كل من يبعد الناس عن طاعة الله وعن منطق الحق ، وكل من يغري بالمعصية ، ويحاول أن يدفع الإنسان إلى الشر .. كل واحد من هؤلاء هو شيطان ..

ويجب أن نعلم ان هناك شياطين من الجن .. وشياطين من الانس .. يجمعهم وصف واحد ، كما يجمعهم الاتحاد في المهمة التي هي نشر المعصية والافساد في الارض .. شياطين الجن هم العصاة من الجن الذين يصدون عن الحق ويدعون إلى الكفر ، وشياطين الانس يقومون بنفس المهمة ..

إذن فاللفظ هنا وصف لمهمة معينة .. وليس إشارة إلى شخص باسمه ، فكل من دعا إلى الكفر والشرك والعصيان .. هو شيطان .

أما ابليس فهو - شيطان - من الجن .. وكانت له منزلة عالية .. حتى قيل انه كان يعيش مع الملائكة .. ابليس هذا هو مخلوق من خلق الله ، ولكنه يختلف عن الملائكة في انه خلق مختاراً .. وهو لا يستطيع ان يتمرد على (أمر) الله وإن أعطى

حق الاختيار ، وانما يستطيع بما له من اختيار .. ان يتمرد على (الطاعة) لهذا كان خروج ابليس عن طاعة الله .. ليس تمردا على أمر الله .. ولكنه عدم طاعة الله بمشيئة الله سبحانه وتعالى التي شاءت أن يخلقه مختارا .. قادرا على الطاعة .. وقادرا على المعصية .

هذه المشيئة هي التي نفذ منها إبليس .. وينفذ منها كل عاص بعدم طاعة الله .. وهذه نقطة لا بد ان نفهمها .. قبل أن نغضى في الحديث عن الانسان والشیطان .. فلا شيء في كون الله سبحانه وتعالى .. يتمرد على أمر الله ، ولكن الله خلق خلقا مقهورين على الطاعة (هم الملائكة) . وخلقنا مختارين في أن يطيعوا أو يعصوا (الانس والجن) ومن خلال هذه الارادة . إرادة الله سبحانه وتعالى في أن يخلق خلقا قادرين على الطاعة ، وقادرين على المعصية .. جاءت المعصية على الأرض .

على ان هناك حديثا طويلا عن معصية ابليس .. بعضهم يقول كيف يحاسب إبليس لأنه رفض أن يسجد لغير الله ؟ .. والله أمر ابليس أن يسجد لآدم .. وإبليس رفض أن يسجد لغير الله .

الذين يشيعون هذا الكلام .. من الملحدين وغيرهم .. نقول لهم إنكم لم تفهموا معنى العبادة .. فالعبادة هي إطاعة المخلوق لأوامر خالقه .. ومن هنا فإننا عندما يقول الله سبحانه وتعالى لنا أن نصلي خمس مرات في اليوم .. فالصلاة

هنا تكون عبادة وطاعة لله .. وكذلك الزكاة .. وكذلك الصوم .. وكذلك الحج .. وكذلك كل ما أمر الله به .. عبادة الله هي طاعته .. وعصيان أمر الله هو معصيته .

ونحن لانتاقش الأمر مع الله سبحانه وتعالى .. وإنما نطيعه . فلا نقول مثلاً لماذا نصلي خمس ركعات .. ولانصلي أربعاً أو ثلاثاً أو اثنتين .. لانرد أبدأ الأمر على الله .. ولكننا نطيع حتى ولو لم نعرف الحكمة .. حتى ولو لم ندرك السبب .. لأن العلة في العبادة هي أنها من الأمر .. أى من الله سبحانه وتعالى .

مهمتنا أن نستوثق أن الأمر من الله .. ومادام الأمر من الله .. فالعلة في تنفيذ الأمر .. أو السبب في تنفيذه ان الله هو الذى قال .. أما غير ذلك فليس موضوعاً للمناقشة .

ومهمة العقل البشرى هي الاستدلال على أن لهذا الكون إلهاً خلقه وأوجده .. وأن هذا الإله هو الذى خلقنا .. وخلق نظاماً غاية في الدقة والابداع .. وكونا غاية في الإعجاز لا يمكن أن يوجد إلا بخالق عظيم ..

فإذا وصلنا إلى هذه النقطة يكون هذا بداية الإيمان .. ولكن عقولنا القاصرة .. وقد وصلت إلى هذا الحد .. لا يمكن أن تتجاوزه .. وهي لا يمكن أن تعلم مثلاً .. من هو هذا الخالق العظيم ؟ .. وما اسمه ؟ وماذا يريد منا ؟ .. ولماذا خلقنا ؟

وهنا يأتي دور الرسل ليكتمل كل شيء .. يرسل الله سبحانه وتعالى رسولا .. مؤيدا بمعجزة من السماء .. تحرق قوانين الكون .. ويقوم هذا الرسول بإبلاغ الناس .. بأن الله جل جلاله .. هو الذي خلق هذا الكون .. وهو الذي سخره لخدمة الإنسان .. حتى القوى العظيمة في الكون .. التي تفوق قدرات الإنسان ملايين المرات .. كالشمس مثلا والبحار والنجوم وغير ذلك .. كل هذه القوى مسخرة لخدمة الإنسان .

لشمس تشرق كل صباح لاتستطيع ان تعصى .. ولا أن تقول لن أشرق اليوم .. والبحار يتبخر منها الماء الذي يتزل منه المطر .. فلا هي عصت يوما .. وقالت إن مياهي لن تتبخر .. ولا هي تستطيع أن تمنع تبخر مياهها .. ليمتنع المطر عن الأرض .

إذن مهمة الرسل .. هي إخبارنا بأن الله خلق كل هذا الوجود وسخره لنا .. وأنه يريد منا أن نعبده .. ونفعل كذا وكذا ..

أي أنهم يحملون إلينا منهج عبادة الله .. والله سبحانه وتعالى يؤيدهم بمعجزات .. نعلم جميعا أنها فوق قدرات البشر .. كل البشر .. حتى نتأكد من أنهم فعلا رسل الله . وحتى لا يأتي مدع أو شيطان يدعى الرسالة ليضل الناس .

فإذا عرفنا ما يريد الحق جل جلاله منا ، فإن علينا السمع

والطاعة .. والسمع والطاعة هنا سييهما أن الأمر صادر من الله جل جلاله .. فهو بعلمه يعلم ونحن لانعلم .. وبحكمته يعرف صلاح كونه ، ونحن بحمقنا قد نفعل الشر ونظن أنه خير .

الله سبحانه بكل صفات كماله .. واجب العبادة .. والإنسان إذا ناقش .. فإن من البديهي أن يناقش مساويا له في علمه .. فالطبيب يناقش طبيبا .. والمهندس يناقش مهندسا .. ولكن الطبيب لا يناقش في الطب نجارا مثلا أو سباكا .. فإذا كان النقاش - لكن يكون مجديا - يجب أن يتم بين متساوين - فمن منا يساوى الله جل جلاله في علمه أو في قدرته .. أو في أى علم من العلوم حتى نناقشه فيما أمر أو نهى ؟! واقرأ قول الله عز وجل في كتابه الكريم :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الاحزاب)

واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(الآية ٢٨٥ سورة البقرة)



بداية المعصية

إذن فعبادة الله هي طاعة أوامره . وخالفة أوامر الله هي المعصية وهي الفسوق . . وهي الطريق إلى الكفر والعياذ بالله . . ومن هنا فإن العادة هي إطاعة المخلوق لأوامر خالقه . وإبليس عصى أمر الله . فلا تكون ذلك عبادة . . ولكنها معصية وكفر .

ويروى لنا الله سبحانه وتعالى . في القرآن الكريم بداية معصية إبليس . . فيقول جل جلاله :

﴿وَذُوقْنَا الْعَذَابَ أَلَمًا لِّأَنَّكَ أَصْبَدُ وَآبَاؤُكَ أَكْثَرُ كُفْرًا﴾
 ﴿إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
 (الآية ٣٦ سورة البقرة)

وكانت هذه هي بداية المعصية . . بداية كفر إبليس . . إن رفض إطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى . ولم يسجد لأدم . . أنه لم يرفض السجود لغير الله . . ولكنه رفض السجود لأمر الله . . وهذا هو الفرق . . لأن رفض إطاعة أمر الله معصية وكفر .

إن البعض يثير . . أن الأمر هنا صدر للملائكة . . ولم

يصدر لإبليس .. فكيف يحاسب الله تبارك وتعالى إبليس على أمر لم يصدر إليه ؟

نقول إنه وإن كان إبليس من الجن .. إلا أنه رفض الأمر .. وفي ذلك نخبونا الحق سبحانه وتعالى في قوله :

﴿ فَسَجَدَ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ ﴾

(من الآية ٥٠ سورة الكهف)

وفي قوله تبارك وتعالى موجهها حديثه إلى إبليس :

﴿ قَالَ مَأمَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ

خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۚ ﴾

(الآية ١٢ سورة الاعراف)

وقوله سبحانه :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَأمَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدَيَّ ۚ

أَمْ تَكْبَرْتَ أَتُمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۚ ﴾

(الآية ٧٥ سورة ص)

وهكذا نرى بنص القرآن الكريم .. أن الأمر قد صدر إلى إبليس بالسجود ، وأن الأمر قد شمله ، وذلك حتى لا يقال .. كيف يحاسب الله إبليس على أمر لم يشمله .



حقيقة إبليس

نأتى بعد ذلك لتكمل الحديث .. عن من هو إبليس ..
إن إبليس كان من الحر ولم يكن من الملائكة .. لأن الملائكة
لا يعصون الله .. ولأن الحر لهم اختيار كالإنسان تماماً .

إن بعض العلماء .. يقسمون الأجاس المختارة الى ثلاثة
اقسام : الشياطين والحر والإنس .. ونقول لهم : إن هذا
التقسيم غير صحيح . لأن الجنسين المختارين من خلق
الله . هما الإنس والجن .. وفي ذلك يقول الله سبحانه
وتعالى فى سورة الرحمن :

﴿ سَفَرَعُ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَانِ ﴾

(الآية ٣١ سورة الرحمن)

وفى سورة الجن نقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ
تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأُفُوا بِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾

(الأبتق ١٤ و ١٥ سورة الجن)

وهكذا نرى أن الجن منه من هو صالح ، ومن هو
فاسق . وأن فسقة الجن هم الشياطين .. أما ما يقال عن أن

هناك حنسا ثالثا أو رابعا بما أحرنا الله عنه .. فنقول لهم
لا ليس هناك إلا الأس والجر مختارين .. كما أحرنا الله
سبحانه وتعالى ..

إذن إبليس من الحسن .. عصي الله سبحانه وتعالى في أمر
السجود لأدم .. وفي ذلك نقراً قول الحق جل جلاله :

﴿ فَتَجَدَّوْا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ ﴾

(الآية ٥٠ سورة الكهف)

وهكذا كانت معصية إبليس .. برفضه أمر الله سبحانه
وتعالى في السجود لأدم .. ولكن هل هذا الرفض من إبليس
مجرد سهو أو خطأ بدم عليه ؟ أم كان رفضه استكباراً
بالغرور الذي دخل نفسه ؟ .. والكبر الذي ملأ صدره ؟ .

لقد كانت معصية إبليس غروراً وكبراً وإصراراً على
المعصية .. فهو - لكبره وغروره - رد الأمر على الأمر .. وهو
الله سبحانه وتعالى .. كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ يَا سَاجِدُونَ خَلَقْتُ طِينًا ﴾

(من الآية ٦١ سورة الإسراء)

وقال كما يحكى القرآن :

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

(من الآية ١٢ سورة الأعراف)

فكان إبليس رد الأمر ، على الله سبحانه وتعالى بقوله :
كيف تريدني أن أسجد لإنسان مخلوق من طين . . وأنا مخلوق
من نار إنه يريد أن يبرر هعصيته وفسوقه بأن النار عنصر أرقى
من الطين . . لأن فيها شفافية . . والمخلوق من انار يمتاز عن
المخلوق من الطين بأشياء كثيرة . . انه يمتاز عليه بسرعة الحركة
وخفتها ، ويمتاز عليه بأنه لا يرى . . فالإنسان لا يرى الجن . .
ويمتاز عليه أيضا بأنه يستطيع أن يصعد إلى مسافات عالية . .
وأنه يخترق الجدران . . ويدخل الأماكن المغلقة . . التي
لا يستطيع أن يدخلها الإنسان .





الأفضل لعنصر على آخر

إبليس أخذ من هذه العناصر - بكفره وغروره - حجة أنه هو الأعلى .. هكذا صرر له غروره .. فاعتقد أنه هو الأفضل ، ونسى ان هذه الميزات كلها لم يحصل عليها بذاته ولا بنفسه بل الله سبحانه وتعالى هو الذى وضع هذه الميزات فى المادة التى خلق منها الجن ، ولولا أن الحق سبحانه وتعالى أوجد هذه الميزات فى المخلوق من النار .. ماكانت قد وجدت .

إذن فالفضل فى ذلك ليس للعنصر الذى خلق منه إبليس - ولكن الفضل للذى أوجد هذه المواصفات فى عنصر النار .. وأن الله تبارك وتعالى .. إن شاء سلب النار كل هذه العناصر .. فيصبح إبليس أحمق خلق الله .

وكانت هذه أولى درجات الغرور والكبرياء من إبليس . أنه نسب الفضل لذاته .. بأنه مخلوق من عنصر أعلى من الطين .. وهو النار .. تماما كما فعل قارون حينما قال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾

« من الآية ٧٨ سورة القصص .

فكان جزاؤه أن خسف الله به ويداره الأرض .

ونمادى إبليس في معصيته كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْقُدَنَّكَ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

« الآية ١٦ سورة الأعراف »

وهنا لنا وقفة ثانية - في قول إبليس كما روى لنا القرآن الكريم - « فيما أغويتني » .. فكأن العواية حدثت من الله سبحانه وتعالى .. فكيف يحاسب إبليس مع أن الله جل جلاله هو الذي أغواه ؟ .

نقول : إن إبليس استحق الغواية بما كسبت يده ، لقد دخل انكبر إلى نفسه .. واعتقد أنه قد أخذ كل ما أخذه . سواء من عناصر تكوينه أو على علم من ذاته ، فتركه الله سبحانه وتعالى لغروره .. فغوى . فكأن البداية كانت من الشيطان .. فاستحق أن يتركه الله لنفسه ولغروره .. فوقع في الكفر .. ذلك أن الحق جل جلاله - يقول لنا في القرآن الكريم :

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

« من الآية ١٠٨ سورة المائدة »

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

« من الآية ٦٧ سورة المائدة »

وإبليس فسق وكفر . فسق بأنه عصى أمر الله في السجود ، والفسوق معناه البعد عن المنهج .. يقال فسقت

الرطوبة عندما يصبح البلع رطباً .. البلع وهو أحمر تلتصق
قشرته بالثمرة .. فلا تستطيع أن تنزعها .. فإذا أصبح رطباً
ابتعدت القشرة عن الثمرة .. وأصبح من السهل نزعها ..
وهنا يقال فسقت الرطوبة أى انفصلت قشرتها عن ثمرتها ..
والفسوق ابتعاد عن المنهج .. والله سبحانه وتعالى أعلمنا أن
إيليس فسق وكفر .. في قوله جل جلاله : « إلا إيليس كان
من الجن ففسق عن أمر ربه » . .

والله تبارك وتعالى ترك إيليس لنفسه .. فغوى وسقط في
المعصية والكفر .. ذلك أن الله لا يظلم أحداً .. ولكن الظلم
يأتى من النفس .. وعندما يظلم المخلوق نفسه .. ويتخذ
طريق الكفر .. فإن الله يتركه للطريق الذى اختاره .. فما
دام قد اختار الكفر .. قاله غنى عنه .. لأن الله غنى عن
خلقه جميعاً .





سقط في الغواية

عندما سقط إبليس في الغواية .. وعرف أنه يكفره قد طرد من رحمة الله .. وأصبح محكوما عليه بالعذاب الأبدي .. طلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة .. وألا يقبض روحه إلا ساعة أن يتفخ في الصور .. وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

والآية ٧٩ سورة ص ١

وبلاحظ هنا ان إبليس استخدم كلمة ربى .. ولم يقل إلهى .. لأنه خاطب الله سبحانه وتعالى بأنه رب العالمين .. أى رب كل من خلق .. المؤمن متهم والكافر ..

إن الله سبحانه وتعالى له عطاءان .. عطاء ربوبية في أنه رب للجميع .. هو الذى خلقهم واستدعاهم للوجود .. ولذلك فإنه يعطى عطاء - ربوبيته للمؤمن به والكافر والعياذ بالله .. وهذا عطاء في الدنيا فقط .. يرزق المؤمن ويرزق الكافر .. ويد الله الممدودة بالاسباب في الارض تعطى المؤمن وغير المؤمن .. فكل من أخذ بالاسباب اعطته الاسباب .. فالذى يحسن زراعة الارض بأحسن الوسائل ، تعطيه محصولا

وفيرا ، سواء كان مؤمنا أو كافرا . . . والذي يأخذ بأسباب
التقدم - ويدرس ويبحث . . . تعطية الأسباب التقدم الذي
عمل من أجله . . . هذا في الدنيا فقط .

أما عطاء الألوهية . . . فهو لمن آمن بأن الله سبحانه وتعالى
هو واحد أحد لا شريك له . . . هذا هو عطاء الألوهية الذي
يعطيه الله تبارك وتعالى للمؤمنين به في الآخرة . حيث تنتهي
دنيا الأسباب . . . ويصبح كل شيء من المسبب مباشرة . . . من
الله لعباده المؤمنين . بمجرد أن يخطر الشيء على بالهم يجدونه
أمامهم . . . بلا أسباب وبلا عمل .

إن الشيطان . . . هو كل من يدعو إلى البعد عن عبادة
الله . والبعد عن مطلق الحق . ويحض عن المعصية مهما
كان جسده . . . وإن إبليس خلق من خلق الله . . . تمرد عن
منهج الله . . . بما أعطاه الله من حرية الاختيار في أن يطيع أو
يعصى ، وفي أنه رد الأمر على الأمر وهو الله سبحانه
وتعالى . فكفر بذلك العصيان ، ثم تمادى في الكفر . .
وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبقيه حتى تقوم الساعة .

ولكن لماذا طلب إبليس هذا الطلب ؟ . . وما الذي كان
يدور في عقله بالنسبة للإنسان ؟

الفصل الثاني



معصية الشيطان

قبل ان اذكر قصة عداء إبليس لآدم
 وذريته .. وكيف يوسوس لهم ويغريهم
 بالسوء .. لابد لنا من وقفة عند معصية
 « إبليس » . تلك المعصية الى استحق
 عليها لعنة الله الى يوم القيامة .
 إبليس عندما رفض طاعة أمر الله
 بالسجود لآدم .. لم يحاول التوبة أو الرجوع الى الحق .. لم
 يقل يارب إن قولك حق .. وأمرك حق .. ولكي يارب لم
 أقدر على نفسي فساعني .. لم يفق لنفسه ويخر ساجدا .. بل
 إن البكر كان قد ملأه .. فمضى في المعصية يقول الحق
 سبحانه كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ
 خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

« الآية ١٢ سورة الأعراف »

وهكذا رد الأمر على الله سبحانه وتعالى .. وكأن الله جل
 جلاله قد غاب عنه انه خلق الجنان من نار ، وخلق الانسان
 من طين .. وكان هذا كافيا لطرد إبليس من رحمة الله ..
 وطرده من المكان الذي كان يعيش فيه مع الملائكة .. وهنا قال
 الحق سبحانه ونعالى :

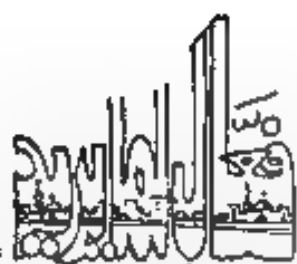
﴿ قَالَ فَأَمْطِلْ سُحُبًا مِّنْهَا فَيَنصُرْكُم بِهَا إِن تَكَبَّرَ فِيهَا
 فَاخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْصَرِفِينَ ﴾

« الآية ١٣ سورة الأعراف »

وقول الحق سبحانه وتعالى : « فاهبط منها » .. معناها ان
إبليس .. كان في مكان عال قبل المعصية .. فلا يكون الهبوط
الا من مكان عال إلى مكان منخفض ..
بعض الناس يأخذ الهبوط على أساس أنه يعنى المسافة ..
ولكن الهبوط قد يكون معنويا .. فالإنسان مثلا .. إذا كان
رئيسا أو حاكما .. ثم أُقصيَ عن مكانه .. فقد هبطت
منزلته .. رغم انه مازال يعيش في البيت الذي عاش فيه ..
أى أنه لم يهبط من أعلى الى أسفل من ناحية المسافة ، ولكن
مكانه هبط .. وبعد ان كان مقامه عاليا .. أصبح لایساوى
شيئا ولاقيمة له ..

ويمكن ان يكون الهبوط من ناحية القيمة .. أى أنك
تؤمن .. ان انسانا ما ذو قيمة عالية .. تراه يحترم نفسه ..
لايقول إلا الحق .. مهذب الجانب .. وفجأة يرتكب عملا
شائنا .. يجعله يسقط في نظرك .. فلا تحترمه ولاتقيم له
وزنا .

إذن الهبوط ليس بالضرورة .. هبوطا ماديا في المسافة ..
ولكنه قد يكون هبوطا في القيمة ، في المكانة ، ولذلك فإن
إبليس ليس من الضروري أنه كان يعيش في الجنة وهبط منها
كما يقول بعض المفسرين .. أو أنه كان يعيش في مكان عال
من السماء .. بل من الممكن ان يكون نزولا معنويا .. بحيث
أصبح لایساوى شيئا .



الكبرياء، لله وحده

الله سبحانه وتعالى . . حين قال له : « فاهبط منها » .
اعطانا سبب هذا الهبوط في قوله تعالى : « فما يكون لك أن
تتكرر فيها » . . أى أن السبب هو ان ابليس قد ملأه الكبر
والعزور . والله سبحانه وتعالى لا يحب المكبرين . وكل من
يأخذ الكبر . . ويعتقد انه بدانه ونفسه يستطيع ان يحقق شيئا
بعيدا عن قدرة الله سبحانه وتعالى . . يناله غضب شديد من
اله . . لماذا ؟

لأن المخلوق في هذا الكون كله لله جل جلاله . . فلا احد
يملك قدرات الفعل إلا الله . فلكل فعل طرف زمان ،
وغرف مكان لا بد ان يقع فيهما . وانت لا تملك الزمان
ولا المكان ، فلا احد يملك القدرة ليقضى حياته ولو دقيقة
واحدة . . ولا أحد يملك القوة ليتحرك من مكان الى آخر . .
الا باذن الله وأمره . . وقد يأتيه الأجل قبل ان يتحرك . . وقد
يأتيه المرض ليشل قدرته عن الحركة . . فكيف يتكبر
الانسان . . أو أى مخلوق من مخلوقات الله وهو لا حول له
ولا قوة إلا بأمر الله .

الله سبحانه وتعالى طرد إبليس من المكان أو المقام الذى
كان فيه . . لأنه تكبر واعتبر . واعتقد انه يملك القوة الذاتية
والقدرة الذاتية . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : « فاخرج

النقود . . ومتى نزل السيل وكيف سار . . وهكذا قست
المسافة وقدرتها . . فعرفت موقع النقود . فضحك الامام ابو
حبيبة رضى الله عنه وقال : والله لقد علمت ان الشيطان لن
يدعك تتم ليلتك مع ربك

وهكذا عندما عرف الشيطان . ان هذا الرّحس سيقوم
ليلته مع الله . . اسرع اليه ليرشده عن مكان المال . . حتى
يمنعه من الاستمرار فى الصلاة ومن الاستمرار فى ذكر
الله . . وهذا هو احد معانى ما جاء فى القرآن الكريم .
« قال فيما أعويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم »
وهذا ما ستعرض له فى الفصل القادم ان شاء الله عندما
تحدث عنه بالتفصيل عن طرق إغواء الشيطان للإنسان وبه
يقعد للإنسان فى المساحد وأماكن العبادة . ليلهيّه ويمنعه عن
ذكر الله . . وعن إقامة الصلاة .
ثم غمضى فيما يرويه القرآن الكريم .

﴿ ثُمَّ لَا يَشِيْئُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ
وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

الآية ١٧ سورة الاعراف .

انا اذا تدبرنا هذه الآية الكريمة نجد ان الشيطان . قد
حدد أربع جهات يأتى منها الى الإنسان . اليمين واليسار
والأمام والخلف . . والمعروف ان الجهات هى ست . اليمين
واليسار والأمام والخلف . . وأعلى وأسفل . . فلماذا يأتى
الشيطان للإنسان من كل الجهات وترك الأعلى والأسفل ؟!



على ابواب المساجد

ان الشيطان يجلس على ابواب المساجد .. واماكن العبادة والذكر .. يحاول ان يغري الناس على عدم الصلاة .. فاذا اذن للصلاة .. فانه يحاول ان يغري الانسان بأى شيء حتى لا يذهب اليها .. فيذكره بما سى من اشياء دنيوية .. ويوسوس له .. ويخوفه بأنه إذا ذهب الى الصلاة ربما فاتته بيع أو شراء أو مال أو مصلحة ، وان العمل عبادة وأنه وأنه الى ان يصرفه عن الذكر وعن الصلاة .

هناك قصة تُروى عن الامام أبي حنيفة رضى الله عنه .. وكان مشهورا بالفتوى في أمور الدين .. فجاءه رجل وقال : ضاعت منى نقودي .. فقد دفتها في مكان من الأرض ونزل السيل فأخفى مكان النقود .. وأزال الحجر الذى وضعه علامة على المكان .. ولا ادرى ماذا افعل ؟ .. فقال الامام ابو حنيفة . وماذا أفيتك في هذا الأمر ؟ .. ولكن الرجل ألح .. فقال له الامام ابو حنيفة : اذهب الليلة بعد صلاة العشاء .. وقف امام ربك متهجدا الى ان يطلع الفجر .. وقل لى ماذا سوف يحدث .

وعندما جاءت صلاة الفجر .. جاء الرجل متهللا .. وقال لقد وجدت مالى .. فسأله ابو حنيفة كيف ؟ .. قال الرجل .. ماكدت اقف للصلاة حتى تذكرت أين مكان

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِ لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(الاية ١٦ سورة الاعراف)

كيف دخل الشيطان الى باب غواية الانسان ؟ .. وبعيدا
دخل ؟ .. اذا قرأت الاية الكريمة التي نحكى مقالة الشيطان
لله عز وجل :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

الاية ٨٢ سورة ص

تعرف كيف دخل الشيطان .. الى غواية الانسان ؟ ..
دخل من باب عزة الله سبحانه وتعالى .. وبأن الحق جل
جلاله عزيز .. لا يحتاج لأحد من خلقه .. اى ان ابليس قال
يارب لو انك اردتهم طائعين .. ما استطعت ان اغوى واحدا
منهم .. ولكنك لأنك عزيز عن كل خلقك .. لاتزيد
طاعتهم فى ملكك شيئا .. ولاتنقص معصيتهم فى ملكك
شيئا ، فإننى بعزتك سأقوم بغوايتهم جميعا .. سأزين لهم
المعصية .. سأقعد لهم على كل صراط مستقيم ، أما الطرق
غير المستقيمة فلا حاجة للشيطان ان يقعد عليها .. انه
لا يجلس - مثلا - على ابواب اماكن تناول الخمر .. ولا على
ابواب الاماكن التى تتم فيها الفاحشة - فإن هؤلاء الناس الذى
يرتادون هذه الاماكن قد أصبحوا جنودا للشيطان - ليسوا
محتاجين الى اغواء .. ولا الى وسوسة .

وحتى تكتمل تجربة الحياة على الأرض .. كان وجود
الاغراء من الشيطان ضروريا .. وحتى يختبر الله عباده ..
احتبارا إيمانيا حقيقيا ، ويمحص مافي قلوبهم ، كان لابد من
تجربة واقعية يمر بها الانسان في حياته .. وليست تجربة
نظرية .. لأن الكلام النظري شيء ، والواقع شيء آخر ..
فقد تقول سافس كذا وكذا .. وعندما يأتي وقت الفعل قد
لاتفعل .

والانسان حين حمل الأمانة .. وعد أنه سيؤديها حق
أدائها .. وعندما جاء وقت الأداء .. أخذته الدنيا بإغوائها
واغرائها . فاتبع الشيطان .. ونسى عهده لله .. ونسى
منهج الله .

فلا يظن احد ان الله سبحانه وتعالى . قد اجاب دعوة
للشيطان . ولكنه جل جلاله .. بما أعد للدنيا من منهج ..
وبما أعده لحياة الإنسان من ابتلاءات واختبارات .. أراد ان
تتم الصورة كلها ..

إذن فالإجابة كانت لمراد الله سبحانه .. وليست استجابة
لدعاء الشيطان أن يبقى الى يوم البعث ولا يقبضه إليه قبل ذلك
اليوم .. ليظل الاعواء في الدنيا حتى آخر لحظة .. والابتلاء
للاسان مستمر الى يوم القيامة .

عندما قضى الله سبحانه وتعالى .. لأبليس ان يبقى الى يوم
القيامة .. عاد القروور الى نفسه مرة اخرى .. وأحسن ان هذه
هي فرصته . ليستقم من آدم وذريته .. وقال الحق جل
جلاله كما يروى لنا القرآن الكريم .



الدنيا دار اختبار

والحياة الدنيا - لكي يكون فيها اختبار - لا بد أن يكون فيها إغواء وغواية . . ومن هنا كان إلقاء الحق سبحانه وتعالى لحياة الشيطان جزءا من الإغواء . . لذي سيتعرض له الانسان في حياته الدنيا . . اختبار من الله لحبه في قلوب عباده . . فمن احب الله . . وقاه الحق سبحانه وتعالى من إغواء الشيطان ، ومن احب المعصية والكفر والعياذ بالله . . سلط الله تبارك وتعالى عليه الشياطين . لتزيده معصية وكفرا .
واقرا قوله سبحانه وتعالى :

﴿ اَلَمْ تَرَ اَنَّا اَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُمُهُمْ اَرَا
فَلَا تَعْمَلُ عَلَيْهِمْ اِلْمَانًا وَعَدُّهُمْ عَدَاً ﴾

الانباء ٨٣ و ٨٤ سورة مريم ،

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى . . يجعل الانسان مع من احب . . فإن احب الله تبارك وتعالى . . كان مع الله فوقاه السوء وأبعد عنه الشياطين . . وحفظه من الشر ، وفتح امامه أبواب الخير . . وإن كان يحب الشيطان . . تركه للشياطين التي هي عدو له . . تقوده الى المعصية . . وتجعل حياته شقاء مستديما ويرداد إليها على آثامه ، ثم لا يأخذ معه شيئا الا ذنوبه . .

﴿ وَلِيَتَّبِعَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

(من الآية ١٥٤ سورة آل عمران)

ولو أراد الله سبحانه وتعالى خلقا مقهورين على الطاعة كالملائكة .. لاستطاع ان يخلفهم .. ولو أراد الحق سبحانه وتعالى .. ان يطيع اهل الأرض جميعا منهج الله .. وان يكونوا جميعهم مسبحين وعابدين لاستطاع ان يفعل ذلك .. ولكن الله جل جلاله اختار اجناسا تأتيه عن قهر كالملائكة وغيرها من خلق الله .. واختار الانس والجن دون غيرهم من الاجناس ليأتوه عن حب وورعة .. يكونون قادرين على المعصية .. ولكنهم لا يفعلونها حبا لله ، ويكونون قادرين على عدم الطاعة .. ولكنهم يطيعون قريبا لله .. انه سبحانه وتعالى يريد خلقا يأتيه عن حب .. في فترة اختبار محدودة بعمر كل انسان .

اننا بعد حلول الاجل سنكون مقهورين لإرادة الله سبحانه وتعالى .. ذلك ان الانسان وهو يحتضر تنتهي إرادته البشرية تماما .. ولا تصبح له إرادة حتى على جسده .. لأن الإرادة كانت في الدنيا .. أما ساعة الموت .. وفي حياة البرزخ .. بين الموت والبعث .. ويوم القيامة ، فلا توجد إرادة لأحد .. فالكافر يقاد الى النار .. ويحاول ان يوقف قدمه عن السير فلا تقف ، ويحاول ان يدفع النار بيديه فلا تندفع ، ويحاول ان يهرب من الوقوف امام الله ، ومن العذاب .. فلا يستطيع .. كل ما كان له في الدنيا .. من حول وقوة قد انتهى

إنك من الصاغرين .. اى أنه إذا كان لك كبر أو قوة أو
ذاتية .. فابق في مكانك .. ولكنك ستخرج وأنت صاغر ..
ستخرج رغما عن أنفك .. لا تستطيع المكابرة .. ولا يمكنك
ان تدعى ان لك قوة تحميك .. أو تجعلك تستطيع ان تخالف
أمر الله ، بل ستخرج ذليلا صاغرا مهينا .

عندما أدرك إبليس ان الكبر الذى ملأ نفسه هو كبر
زائف .. وأنه فى الحقيقة لا يساوى شيئا فى ذاته .. امتلأ قلبه
بالحقد على آدم .. لأنه اعتقد أنه السبب فى كل ما حدث
له .. فى طرده وفى هبوطه إلى أسفل اسافلين .. وفى غضب
الله سبحانه وتعالى عليه .. والحقد الذى ملأ قلب إبليس ..
دفعه الى محاولة الانتقام من آدم وذريته .. فكما قاده عدم
اطاعة امر الله بالسجود لآدم الى النار .. يريد هو ان يقود آدم
وذريته الى النار .. ثارا منهم لما حدث له .. وكما طرد إبليس
من رحمة الله .. فإنه يريد ان يطرد آدم وذريته من رحمة
الله .. انه يريد الانتقام من آدم .. لأنه كان السبب فى كل
ما حدث .. من لعن وطرد لإبليس وكل من تبعه ، انه لا يريد
ان يدخل الى النار وحده ! وإنما يريد ان يحشد فيها من يستطيع
اغواؤه من الناس .

ولذلك عندما خرج إبليس .. صاغرا ذليلا .. من المقام
الذى كان فيه .. توجه الى الحق سبحانه وتعالى كما يروى لنا
القرآن الكريم :

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ رُبْعُونَ ﴾

والآية ١٤ سورة الاعر

هكذا عاد إبليس الى المذلة .. يطلب من الله سبحانه وتعالى .. ان يبقيه حيا الى يوم القيامة .. وقد كان يملؤه الكبر .. ولو ان كبره كان حقيقة وليس زيفا .. ولو انه كانت له اى قوة ذاتية .. لما طلب الى الله سبحانه وتعالى ان يبقيه الى يوم القيامة .. ولأبقى نفسه .. ولكن لأنه لاحول له ولا قوة إلا ما شاء له الله .. فإنه اتجه الى الله سبحانه وتعالى ليبقيه حيا الى يوم القيامة .

ولكن لماذا استجاب الله تبارك وتعالى لدعاء إبليس .. وكان من الممكن أن يهلكه في الترو واللمحظة ؟ لماذا قال الله جل جلاله .

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِنْ يَرِىَ الْأَوْقَاتِ الْمَعْلُومِ ﴾

الآيتان ٣٧ ٣٨ سورة الحجر

لقد استجاب الله دعاءه - وهو المطرود من رحمته - لأن حكمة خلق الدنيا .. لانكتمل الا بهذا .. فالله سبحانه وتعالى .. خلق الدنيا كدار اختيار .. وجعل الآخرة دار الجزاء .. والله جل جلاله يريد ان يمر عبده باختبار في الحياة الدنيا .. ان يمتحن قبل ان يجازى .. ان يكون شهيدا على نفسه يوم القيامة فيما فعل .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

الآية ١٤٣ سورة آل عمران

له جل جلاله .

ونجيب على ذلك بأن الأعلى هو مكان صعود الدعاء . .
 وصعود الأعمال الصالحة لله سبحانه وتعالى . . والأسفل هو
 مكان السجود والخضوع لله جل جلاله . . وكلاهما لا يستطيع
 الشيطان الاقتراب منه ، فمكان السجود لله والخضوع له
 لا يقربه الشيطان . . وكذلك مكان صعود الدعاء والعمل
 الصالح . فهذان المكانان مباركان لكل مؤمن ، تحفهما
 الملائكة ولا تقربهما الشياطين .

لكن لا بد لنا ان نقف . . عند قول الحق تبارك وتعالى :
 « ولا تعبدوا أكثرهم شاكرين » . .

من الذى أنبأ الشيطان وعرفه ان أكثر الناس لن يكونوا
 شاكرين لله على نعمه وفضله . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

« من الآية ٢٤٣ سورة البقرة »

هل أوقى الشيطان من علم الغيب . . ما جعله يعرف ان
 أكثر الناس لن يكونوا شاكرين . . ام انه كان واثقا من نفسه
 وثوقا جعله يقول هذا الكلام . .

فالشيطان لا يعرف الغيب . . ولم يؤت هذا العلم حتى يقول
 ان أكثر عبادك لن يكونوا شاكرين . . كما انه لم يكن لديه من
 العلم ما يجعله جازما واثقا من أن ذلك سيحدث نتيجة اغوائه
 للانسان . .

ان القرآن الكريم يكشف لنا كيف قال الشيطان هذا
 الكلام .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
وَيَقَاتِلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الآية ٢٠ سورة مآ)

إذن فقد كان ماقاله ابليس ظنا فقط . . فلم يكن يعلم
عييا . . ولا يدري ماسيحدث في المستقبل . . وجاء حكم الحق
سبحانه وتعالى على ابليس ومن تبعه . كما يقول رب العزة في
كتابه الكريم :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْتُكُمْ مَتَاعًا ثُمَّ تَبِعَكُمُ مِنْهُمْ لَفَلَّاتٌ
بِئْسَ مَا تَكْسِبُ أَجْمَعِينَ ﴾

(الآية ١٨ سورة الاعراف)

وهكذا طرد إبليس . . من رحمة الله ومن الجنة . . ومن أي
مكان فيه قرب من الله . . وصبح مذموما ملغونا . . ليس هو
فقط . . ولكن هو وكل من تبعه من الجن والانس . .
مصيرهم جميعا هو الخلود في النار . قاله عز وجل . . أعد
لكل عبد من عباده . . من الإنس والجن . . مكانا في الجنة
ومكانا في النار . . حتى اذا عصي الخلق جميعا وسعتهم
النار . . وان اطاع الخلق جميعا سعتهم الجنة . . ويوم القيامة
فإن اصحاب الجنة يرثون . فوق ما أعد الله لهم من الجنة .
الأمكن المحصنة . لمن قضى الله سبحانه وتعالى عليه
بالعذاب في جهنم يوم القيامة والعياذ بالله بعد ذلك .

لقد اراد الله سبحانه وتعالى بعد أن انظر ابليس الى يوم
القيامة ان يحصن آدم ويعرفه التجربة التي هو مقدم عليها . .
ويبين له كيف ان الشيطان عدو له . . وكيف انه سيفريه على
المعصية . . وكيف انه سيعده كذبا . . ولن يحقق وعده . .
وأراد الحق تبارك وتعالى . . ان يتم ذلك بتجربة عملية يمر بها
آدم وحواء . . حتى اذا نزلوا الى الارض . . كانت هذه
التجربة وقاية لهما من إغواء الشيطان . . فقال الحق سبحانه
وتعالى :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

«الآية ١٩ سورة الاعراف»

وهكذا أعد الله تبارك وتعالى . . مكان التجربة لآدم
وحواء . . في جنة فيها كل اسباب الحياة . . بلا تعب
ولاجهد . . وفر لهما الطعام من ثمار مختلفة . . ووفر لهما
الشراب . . وفتح لهما من النعم كل مايشتهيهانه . . وأباح لهما
كل ثمر الجنة . . ماعدا شجرة واحدة . . طلب منها الا يقتريا
منها . .

انها حياة مريحة مليئة بالنعم-المباح فيها كثير ، والمنوع منها
أقل القليل . . شجرة واحدة هي المنوعة . . وحذرهما الله
سبحانه وتعالى . . من ان الشيطان عدو لهما . . وطلب منها
الا يستمعا الى مايقوله لهما . . لأنه يريد بهما السوء . . ولايريد
لهما الخير . . فما الذي حدث ؟ .

انه رغم كل هذا التحذير . . ورغم ان المباح كثير والمنوع

هو شجرة واحدة . . فإن الشيطان استطاع باغوائه ان يوقع آدم وحواء في المعصية .

بعض المفسرين يقولون . . ان حواء هي التي وقعت في المعصية اولاً . . ثم أوقعت آدم . . وأنها هي السبب في خروج آدم من الجنة . . فهل هذا صحيح ؟ . وهل حواء هي التي تحمل المعصية الأولى في خروج آدم من الجنة . . ام ان هذا غير صحيح . . وما هي الحقيقة ؟ . وماذا حدث ؟

وقبل ان نحيب على هذه الاسئلة . . نجمل ما قلناه في هذا الفصل من أن الكبر قد ملأ ابليس . . فجعله يفترب نفسه . . ويرد الأمر على الله سبحانه وتعالى . . ويقول خلقتني من نار وخلقته من طين . . يريد ان يبدل أمر الله . . فلعنه الله وطرده من رحمته . . وجعله من اهل النار هو وكل من اتبعه . . ولكن إبليس اتخذ مدحلاً ليعوى آدم وذريته . . وهذا المدخل هو ان الله تبارك وتعالى عزيز غني عن خلقه جميعاً . . لا يضره من ضل . . ولا ينفعه من آمن .

من هذا المدخل دخل ابليس الى غواية بني آدم . . والله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار اختبار . . ولذلك كان لابد من العواية . . ليعلم الله الصادقين في إيمانهم (علم شهادة) ليكونوا شهداء على انفسهم يوم القيامة .

لقد شاءت ارادة الله أن يدخل آدم في تجربة عملية في إغواء الشيطان . . ليحذره ويعلمه بما سيلاقيه في الحياة الدنيا . فكيف تمت هذه التجربة ؟

الفصل الثالث



آدم والشيطان

طرد الله سبحانه وتعالى الشيطان ،
وأخرجه مما كان فيه . . والخروج هو مجاوزة
المكان أو مغادرته . . والشيطان خرج
مطرودا وملعوناً ومذموماً . . والله سبحانه
وتعالى وعد كل من اتبع الشيطان بالعذاب
في النار .

ان الله جل جلاله قد أعد في الجنة - كما قلنا - أماكن لكل
خلقه . . من خلق آدم إلى قيام الساعة . . وأعد في النار
أماكن لكل خلقه . . من آدم إلى قيام الساعة . . فلو أطاع كل
الخلق لوسعهم نعيم الله في الجنة ، ولو عصى كل الخلق لناهم
عذاب الله في النار .

ولقد شاء الله ان يقوم آدم وحواء بتجربة عملية على كيفية
مواجهتهما وذريتهما وسوسة الشيطان . . وذلك حتى يكونوا
محصنين منها . ويعرفوا أن الشيطان كاذب فيما يعد . . وأن
الشيطان لا يأتي منه إلا الشر والضرر وزوال النعمة .

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَرَبَّنَا أَدْخِلْنَا مَسْكِنًا أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

« الآية ١٩ سورة الاحزاب »

ومن هذه الآية الكريمة . . نعرف أن آدم وحواء سكنا

الجنة . . وكثير من العلماء قالوا . . ان المقصود بالجنة في الآية الكريمة هي جنة الخلد في الآخرة . . مما دفع المستشرقين وغيرهم أن يتساءلوا . كيف يمكن أن يدخل إبليس جنة الطائعين لله ليوسوس لأدم وحواء ويغريهما بالمعصية ؟ كيف يمكن لإبليس . . وهو عاص ومطرود من رحمة الله . . ومحكوم عليه بالعذاب في النار . أن يدخل جنة الخلد ؟

ثم كيف يمكن لأدم وحواء . . أن يدخلوا جنة الخلد ثم يخرجوا منها ؟ . . مع أن الله سبحانه وتعالى قد كتب أن كل من يدخل الجنة يبقى خالدا فيها ؟

نقول لهؤلاء جميعا . . إنكم لم تفهموا مدلول كلمة (جنة) في القرآن الكريم . . ان هناك شيئا في اللغة العربية يسمى غلبة الاستعمال . . ذلك أن اللفظ يكون له معان متعددة . . ولكنه يؤخذ عادة على معنى واحد . . إذا قاله الانسان . . إنصرف الذهن إلى هذا المعنى بالذات . . من هنا فإتينا عندما سمع كلمة (جنة) . . ينصرف ذهننا إلى جنة الآخرة . . لأنها هي الجنة الحقيقية . . ولكن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة جنة في القرآن الكريم في معان متعددة . . الجنة في اللغة معناها الستر . . ولذلك فهي تطلق على المكان الذي فيه أشجار غزيرة ومتنوعة . . بحيث إذا مشى الإنسان فيه . . سترته هذه الأشجار بأغصانها المتشابكة عمن هم خارج هذه الجنة فلا يرونهم . . وفي نفس الوقت . . فهو يجد فيها أسباب معيشته كاملة . . ولذلك فهو لا يحتاج إلى الخروج منها . . هذا هو المعنى اللغوي للجنة .



ليست جنة النكد

فاذا بحثنا في القرآن الكريم .. وجدنا أن القرآن استخدم كلمة الجنة في أكثر من معنى .. استخدمها بمعناها اللغوي (بمعنى السر) وفي معناها اللغوي .. (جنة الآخرة) وفي ذلك نجد آيات كثيرة بهذين المعنيين كقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا لِّرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾

وقوله جل جلاله : ﴿ الآية ٢٢ سورة الكهف ﴾

﴿ أَوَلَوْ أَحَدٌ ذَكَرْنَا أَن نَّكُونَ لَهُ جَنَّةً مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ من الآية ٢٦٦ سورة البقرة ﴾

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي نَسِكِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ الْوَكِيلَ طَيِّبَةٌ رَبِّ عَنُودٍ ﴾

﴿ الآية ١٥ سورة سباء ﴾

كل هذه الآيات الكريمة .. استخدم فيها الحق سبحانه وتعالى .. كلمة جنة وهو يعنى جنة فى الدنيا ..

ولقد قال بعض العلماء .. إن الله تبارك وتعالى .. قد فرق بين جنات الدنيا وجنة الآخرة .. فلفظ (الجنة) يطلق على جنة الآخرة وحدها .. ولفظ (جنة) من غير الألف واللام .. يطلق على جنات الدنيا .. ولكن هذا الكلام غير صحيح .. بدليل اقتران الألف واللام بجنة الدنيا ، كما جاء فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾

« الأجن ١٧ و ١٨ سورة القلم »

والحديث هنا فى هاتين الآيتين .. عن جنة أو حديقة من حدائق الدنيا .. إذن فالألف واللام .. لا يميزان لفظ جنة .. بحيث يصبح المعنى هو جنة الآخرة .. ولا بد أن نقف هنا قليلا .. عند بعض الأقوال التى تدعى أن آدم وحواء كانا يعيشان فى جنة الخلد .. وعندما عصيا الله طردهما من الجنة .. وأنزلهما ليعيشا فى شقاء على الأرض ..

نقول ان هذا الكلام غير صحيح فى اطلاقه .. وذلك أن الله سبحانه وتعالى .. قبل أن يخلق آدم حدد مهمته فى هذه الحياة .. وقرأ قوله جل جلاله :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

« من الآية ٣٠ سورة البقرة »

إذن قبل أن يتم خلق آدم . . كانت الغاية من خلقه أنه سيعيش في الأرض ويعمرها .

والنقطة الثانية هي أنه لو أن آدم قد طرد من الجنة لأنه عصي . . فما ذنبنا نحن حتى نرث المعصية ونرث الشقاء . . إن هذ يتنافى مع عدل الله تبارك وتعالى في قوله :

﴿ وَلَا يَزِرُكُمْ وِزْرُكُمْ وَلَا يَزِرُكُمْ وِزْرُكُمْ وَلَا يَزِرُكُمْ وِزْرُكُمْ ﴾

من الآية ١٨ سورة قاطر .

إن كل إنسان يحاسب عما فعله فقط . . ولا يحاسب عما فعله أبواه . . أو جداه أو أولاده . . لأن الإنسان لا يحمل إلا حسناته أو معاصيه . ومن هنا لا يمكن أن يكون آدم قد عاش في جنة الخلد . . ثم طرد منها لأنه قد عصي . . وتحملنا نحن نتيجة المعصية . وورثناها وعذبنا بها بأن طردنا من الجنة ، لأنه لو لم يعص آدم لعشنا نحن في الجنة . . نقول هؤلاء ان هذا يتنافى مع عدل الله الذى يأبى أن تورث المعصية .

ولكن لماذا جعل الله سبحانه وتعالى إقامة آدم وحواء بعد خلقهما في جنة ؟

يقول إن لذلك حكمة . . فآدم خلق ليتلقى المنهج من الله . . في افعل ولا تفعل . . وهذا المنهج فيه صلاح الحياة على الأرض . . فما قال عنه الله سبحانه وتعالى إفعل . . إن لم تفعله فسدت الأرض ، وما قال عنه لا تفعل . . إن فعلته فسدت الأرض . .

إن الله تبارك وتعالى .. وضع آدم وحواء في هذه الجنة ليأخذوا تجربة عملية عن تطبيق منهج الله .. وليأخذوا تحذيرا عمليا .. عن مهمة الشيطان في إفساد منهج الله .. لأن مهمة الشيطان أن يدفع آدم وذريته ليفعلا ما نهاهما الله ألا يفعلاه .. وألا يفعلوا ما أمرهما الله جل جلاله بفعله .. فإن قال الله لها لا تشربا الخمر .. سيزين الشيطان لها شرب الخمر ، وإن قال الله لها أقمي الصلاة .. زين الله لها ترك الصلاة .. وهكذا .

لقد كانت التجربة بسيطة في أداؤها .. عظيمة في مدلولها .. كانت تدريبا عمليا لأدم عليه السلام .. على ما سيحدث له إذا أطاع الله .. وعلى ما سيحدث له إذا أطماع الشيطان .. وهكذا جاء الله سبحانه وتعالى بأدم .. ووفر له كل مقومات الحياة في مكان أسماه الجنة .. فقال جل جلاله لأدم :

﴿وَيَسَّادُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

«الآية ١٩ سورة الاعراف»



أول منافع السماء

الحق سبحانه وتعالى بين لآدم الميزات .. التي سيحصل عليها في هذا المكان الذي سيعيم فيه .. فقال جل جلاله :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَسْرِى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ ﴾

• الآية ١٦٨ . ١٦٩ سورة طه •

أى في هذه الجنة طعام يكفيك وكساء يترك .. وماء تجده دائما فلا يصيبك الظمأ .. وليس فيها تعب .. ثمار هذه الجنة مباح لك .. بل كل ما فيها مباح لك .. ماعدا شجرة واحدة لا تقرب منها .. ولا تأكل من ثمارها .

إن هذا هو منهج الله في الأرض .. إنه جل جلاله يبيع لنا الكثير جدا .. ويحرم علينا أقل القليل .. وحذر الله سبحانه وتعالى آدم وحواء .. من عدوهما إبليس .. فقال تعالى :

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَإِنَّكَ لَظَوِّجُكَ فَلا تَخْرُجَا كَمَا

رَأَيْتَهُمَا قَدْ خَلَا

• الآية ١١٧ سورة طه •

وكان هذا التحذير كافيا .. ليتنبه إلى عداوة إبليس . فلا يستمع إلى وسوسته .. ولا يصدق أكاذيبه ..

لقد وفر الحق جل جلاله لأدم كل مقومات الحياة من غذاء .. يعطيه ما يحتاجه جسده بدون فضلات .. فالله سبحانه وتعالى يغذى الجنين في بطن أمه بالقدر الذى ينميه .. ولا تخرج منه فضلات .. لأن الغذاء على قدر النمو .. وكان غذاء آدم فى الجنة على قدر نموه ..

ويجب ان نتنبه إلى أن الجنة التى عاش فيها آدم .. ليست هى حنة الخلد .. لأن الحياة فى جنة الخلد لا تأتى الا بعد الحياة الدنيا .. فهى جزاء لاتباع منهج الله فى الدنيا .. وأنها ليست سابقة للحياة الدنيا .. ولكنها لاحقة لها وتأتى بعدها .

إذن فالجنة التى عاش فيها آدم .. هى مكان فيه كل ما يحتاجه حياته وما تتطلبه .. ولا بد أن نلاحظ .. أن الله سبحانه وتعالى .. قال لأدم وحواء : « ولا تقربا هذه الشجرة » .. ولم يقل لها ولا تأكلا من هذه الشجرة .. لماذا ؟ .. لأن الله يريد أن يحمى آدم وذريته من إغراء المعصية .. فلو أنه جل جلاله قال لا تأكلا .. لكان قد أباح لأدم وحواء ان يقتريا من الشجرة .. ويجلسا إلى جوارها .. ويتأملتا ثمارها .. وحينئذ كان يغريهما شكل الثمار .. أولونها أوراثنها فياكلان منها ..

لكن الحق تبارك وتعالى - أراد أن يحمى آدم من نفسه .. ومن الإغراء الذى يمكن أن يتعرض له .. وقد لا تقوى نفسه عليه .. هذه الحماية التى أراد الله أن يوفرها لأدم وذريته من بعده .. هى الحماية الحقيقية من الوقوع فى المعصية .. لأنك

إذا اقتربت من شيء حرمه الله . . تميل نفسك إليه . . وربما
دفعك هذا القرب الى اقترافه

ونلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى . . يطلب منا الا نقرب
من قمم المعاصي فيقول :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُنَالِي عَلَيْكُمْ فَأَجْنِبُوا الرِّجْسَ
مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾

« الآية ٣٠ سورة الحج »

ولم يقل تبارك وتعالى . . لا تعدوا الأوثان . . فلو قالها
لكان مباحا لنا أن نذهب إلى الأماكن . . التي تعبد فيها
الاصنام وأن نجلس فيها . . فإذا فعلنا ذلك . . ربما أوقعنا
هذا الجلوس والعياذ بالله في عبادة الاصنام . . وكذلك اقرأ
قول الحق جل جلاله

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْيَيْسُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا ﴾

« من الآية ٩٠ سورة المائدة »

أى لا تقربوا أماكنه . . والغريب أنك تجد بعض الناس
يحاول أن يجادل في أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم الخمر . .
ويقول لك اثني بآية من القرآن الكريم يقول فيها الله تبارك
وتعالى حرمت عليكم الخمر .

ونقول لأمثال هؤلاء المشككين : إن الأمر الذى ورد
 بالاجتناب أقوى من التحريم .. فلو أن الله جل جلاله
 قال .. حرمت عليكم الخمر .. لكان المحرم فقط هو شرب
 الخمر .. وكنا فى هذه الحالة نصنعها ونتاجر فيها .. ونعد
 الأماكن التى يتم فيها تناولها .. ونخدم شاربها ونجلس
 معهم .. فإدمننا لا نشرب الخمر .. ومادام قد نزل فيها أمر
 تحريم فقط .. فلنا أن نفعل كل هذا .. ولكن الاجتناب حرم
 أن نقترب أساسا من الأماكن التى يتناول فيها الخمر ..
 أو نصنعها أو نتاجر فيها أو نجالس الذين يشربونها ..
 فالاجتناب أقوى من التحريم .. ولذلك فإن الله سبحانه
 وتعالى طلب من آدم وزوجته ألا يقتربا من الشجرة المحرمة ..
 وإلا يكونان قد ظلما نفسيهما .





بحاية المعصية

ماذا فعل الشيطان ؟ .. انه يريد أن يوقع آدم وحواء في المعصية .. فماذا فعل ؟ يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ بِهِمَا ﴾

« من الآية ٢٠ سورة الاحراف »

قول الحق سبحانه وتعالى : « وسوس » .. تدل على أن الحديث دار همسا بصوت خافت .. والوسوسة هي إغواء الشيطان .. وهي اغراء بارتكاب الشر ، والذي يتحدث ويأمر بالخير لا يهيمه أن يكون حديثه بصوت عال .. ولكن الحديث في الشر والغواية لا يتم الا همسا بصوت خافت .

والوسوسة في اللغة العربية .. هي صوت رنين الذهب والحلى .. وهو صوت يجذب الناس ويغريهم ويلفت نظرهم ، والوسوسة لابد أن يكون فيها إغراء .. لأنك إذا أردت أن تخرج الناس عن منهج الله لابد أن تغريهم بمتعة دنيوية سيفوزون بها .

انا لابد أن نتوقف عند قوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان » .. لأن الشائع أن الشيطان أغوى حواء .. وأن حواء هي التي اغوت آدم .. وزينت له المعصية حتى أكل من الشجرة .. وأنه لولا حواء لبقى آدم في الجنة !

نقول إن الله سبحانه وتعالى .. برأ حواء من هذه
الغربة . فقله تعالى : « فوسوس لها الشيطان » دليل على
أن الشيطان .. هو الذى زين المعصية لآدم كما زينها لحواء ..
أى أن الشيطان هو الذى قام بإغواء آدم وحواء ولم تقم
حواء بإغواء آدم على المعصية .. والغواية جاءت من الشيطان
للإثنين معا ..

ولكن ما هدف الشيطان من هذه الوسوسة ؟ .. هدفه أن
يعصى آدم وحواء ربهما .. فيعاقبا كما عوقب الشيطان بالطرد
من رحمة الله .. والعقوبة هنا هى أن تظهر سوءات آدم
وحواء .. والسوءة هى ما يسوؤك النظر اليه . أو هى
العورة .. لأن الفطرة تجعل الإنسان يخجل من أن يظهر عورته
على الناس .

وقبل أن يأكل آدم وحواء من لشجرة لم ير أحدهما عورة
الأخر .. ولا عورة نفسه . فلا آدم رأى عورته ولا عورة
حواء .. وكذلك حواء لم تر عورتها ولا عورة آدم .. كلاهما
ستره الله عن الآخر .

لقد اتعب العلماء أنفسهم .. فى كيف كانت عورتا آدم
وحواء مستورتين عنهما .. قال بعضهم كان عليهما اللباس ..
وقال آخرون ان أظافر آدم وحواء كانت طويلة .. حتى كانت
نصل الى قدميهما .. وكانت هى التى تستر العورة .. ثم
زالت هذه الأظافر بالمعصية ..

ولكن ذلك لا يجب أن يشغلنا .. فالله سبحانه وتعالى ..

كان يستر عورتي آدم وحواء . . بما شاء من أنواع الستر . .
بنور قوي من عنده . . فالتور اذا كان قويا فلا تستطيع أن ترى
الأشياء من خلاله . . فإن النور في ضعفه غيظ به الأشياء . .
وفي قوته يخفيها عنا . . وسواء سر الله سبحانه وتعالى عورتي
آدم وحواء يشوب أو بأظافر . . أو بنور من عنده . . فالمهم أن
هذه العورات كانت مستورة عن أعينها .





وظهبت عورة الإنسان

والسؤال لماذا نستاء عندما تظهر عوراتنا؟ .. إن العورات هي مكان خروج فضلات الطعام والشراب .. إننا نحرص على كشف أماكن دخول الطعام والشراب كالقمم مثلا .. ونحرص حرصا شديدا في نفس الوقت .. على عدم إظهار أماكن خروج فضلات الطعام والشراب ..

يقول بعض العلماء في تحليل ذلك : إن العورة تذكرنا بمعصية الله .. فعندما حدثت المعصية ظهرت العورة .. ولذلك فنحن نريد أن نسترها .. لأنها رمز للمعصية .. والمعصية عورة يحاول الإنسان دائما أن يخفيها ويخجل منها .. يحرص ألا يراه الناس ، والرجل مع زوجه يحرص على أن لا يراه أحد .. ويحتاط لذلك أشد الاحتياط .. الإنسان عندما يكون معه مال حلال .. يخرج به أمام كل الناس .. ولا يخشى شيئا .. والإنسان ومعه مال مسروق يحاول أن يخفيه عن الدنيا كلها .. فالمعصية في كل أحوالها عورة يحرص الناس على إخفائها وسترها .

ولكن كيف تم إغواء الشيطان لآدم وحواء؟ .. كيف أوقعهما في المعصية .

اقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ وَقَالَ مِمَّا تَهْتَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ ﴾

(من الآية ٢٠ سورة الاعراف)

جاء الشيطان لهما من جهة ما تريده . النفس البشرية
وتتمناه . . وهو حياة خالدة لا تنتهى ولا تزول . . وملك دائم
لا ينفد . . ولذلك فإن الشيطان حين أراد أن يغرى آدم وحواء
بأن يأكلا من الشجرة قال لآدم كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَئِيمٍ ﴾

(من الآية ١٢٠ سورة طه)

والشيطان كاذب فيما يقول . . فلو كانت هذه شجرة الخلد
فعلا لأكل منها الشيطان نفسه وأصبح خالدا لا يموت . . ولكنه
طلب من الله أن يبقيه إلى يوم القيامة . . لأنه يعلم يقينا أن
الله هو خالق الحياة . . وأنه وحده هو الذى يبقئها .
أويذهبها . .

ولا بد أن نتنبه الى طريقه إغواء الشيطان . . إنه يحاول
إغواء الانسان . . بأن مهيج الله سبحانه وتعالى يضره
ولا ينفعه . . وأن السمع الحقيقى هو فى المعصية . . لهذا قال
لآدم وحواء . . ان الله منعهما من الأكل من هذه الشجرة . .
حتى لا يكون لهما الملك والخلود . . والانسان يكره الفقر ويكره
الموت . . ويريد أن يبقى خالدا . . ولذلك جاء لهما الشيطان

ليقول لهما : اذا أردتما الخلد وملك .. فامامكما هذه الشجرة .. وحلف لهما كما يروى القرآن الكريم :

﴿ وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَن تَصِحِينَ ﴾

(من الآية ٢١ سورة الاعراف)

أى أقسم لهما أنه يريد لهما النصح .. وصدقا القسم .. صدقا الشيطان في أنه يريد لهما الخير .. ولذلك عاتب الله سبحانه وتعالى .. آدم وحواء بأنها صدقا قَسَمَ ابليس .. مع أنه جل جلاله قد بين لهما أن إبليس عدو لهما لا يريد لهما الخير .. وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ

وَأَقُلَّ لَكُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الاعراف)

ولكن آدم وحواء هما اللذان أحسا بالندم الشديد .. ما كانا يعتقدان أن خلقا من خلق الله يقسم بالله على باطل .. ولذلك قال قتاده رضى الله عنه .. المؤمن بالله يخدع . أى اذا دخلت على مؤمن بالله سهل لك خداعه

وكان سيدنا عبدالله بن عمر .. عندما يحسن أحد عبده الصلاة يعتقه .. فكان العبيد اذا رأوه بدأوا يصلون بخشوع .. فقال له الناس : ان العبيد يخدعونك لتعتقهم .. فقال لهم عبدالله بن عمر .. من خدعنا بالله انخدعنا له .

الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قَدْ لَّهُمَا غُرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا
وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الاعراف)

لفظ دل مأخوذ من دلى حبل الدلو في البئر ليجث عن الماء . . والغرور هو الإغراء الذي يقع الانسان في المخالفة .

وهنا لنا وقفة . . لا يظن أحد أن ابليس أوقع آدم وحواء . . في المعصية على مرحلة واحدة . . بل سبق ذلك مراحل . . فإبليس خدعها أولا ليقتربا من الشجرة ، ثم زين لها ثمارها وحلاوتها ولونها ورائحتها ، ثم بعد ذلك أغراها بالأكل ! أى أن المعصية تمت على مراحل ولم تتم دفعة واحدة . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تعرض المتن على القلوب عودا عودا كالخصير) . . لذلك لابد أن نتنبه . . أن الاقتراب من المعصية يوقعنا فيها .

ماذا حدث ؟ . . هل كرر آدم وحواء المعصية . . وأكلا مرات ومرات من الشجرة ؟ . . الحق تبارك وتعالى يقول : « فلما ذاقا الشجرة » . . أى بمجرد التذوق . . ولم يكن هناك أصرار على تكرار المعصية . . إنه بمجرد التذوق ظهرت لها عوراتها . . فقاما بإخفائها أو مداراتها . . بورق اشجار الجنة . . ومعنى ذلك انها احتاجا . . الى أكثر من ورقة ليداريا العورة . .

وهنا نرى عدل الله سبحانه وتعالى في أنه حذرهما أولا من

المخالفة . . وابلغهما بالجزاء أو العقاب . . حتى يكون العقاب عدلا وحقا . . ولذلك فإن التشريع الالهي لا يوجد فيه ما يسمى بالقوانين بأثر رجعي . . فلا تجريم في العدل الالهي إلا بنص . . والنص هو نهي الله لآدم وحواء . . أن يقربا هذه الشجرة . . وأن الشيطان عدو لهما . . وقول الحق « ألم أنهيكما عن تلك الشجرة » بصيغة الاستفهام . . معناه أنه لا يوجد الاجواب واحد . . نعم يارب نهيتنا .

لقد كان الهدف من هذه التجربة العملية من الله سبحانه وتعالى . . ليحصن آدم وحواء وذريتهما من الشيطان . . فيعرفا أنه كاذب في كل ما يَعدُّ به . . وأنه يريد بهما السوء . . ولوتظاهر بأنه يريد لهما الخير . . وأن مهمة الشيطان أن يستخدم كل الحيل . . لاغراء آدم وذريته على المعصية . . وأن يستخدم كل الحيل لإيقاع آدم وذريته فيما نهي الله عنه .

ولكن هل انتهت المعركة ؟ . . إنها لم تنته . . ولكنها استمرت وستستمر الى ان تقوم الساعة .



الفصل الرابع



معصية آدم ..
ومعصية ابليس

إنتهينا في الفصل السابق إلى أن إبليس
قد دخل إلى غواية آدم من جهة أن الله
عزيز غنى مستغن بذاته عن كل خلقه .
إن الله سبحانه وتعالى يقول في حديث
قدسى في هذا المعنى :

(يعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم
وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في
ملكى شيئا ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا
على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى
شيئا .. ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في
صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك
عندى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

إذن فمن باب عزة الله . دخل الشيطان إلى غواية
آدم .. واستطاع إبليس أن يقنع آدم أن الله قد سمعه من
الأكل من الشجرة لأنه لا يريد له الخير .. وذلك حتى
نفطن .. إلى طريق إبليس في العواية .. فلا خبر في خير يؤدي
إلى النار والمعصية .. ولا شر في شر يؤدي إلى الجنة وطاعة
الله .

إن الشيطان يحاول أن يصور الشر للإنسان بأنه خير .
ولذلك صور لآدم أن المعصية خير . فلما أكل آدم من
الشجرة .. وارتكب المعصية هرب إبليس !

والسؤال الذى يدور هنا .. ماذا غفر الله سبحانه وتعالى
لآدم خطيئته ولم يغفر لابليس معصيته ؟ . لقد عصى آدم ،
وعصى إبليس .. الأول تاب الله عليه ونهبل توبته .. والثانى
لعنه وجعله خالدا في النار .. ماهو الفرق بين المعصيتين ؟

نقول : إن آدم وحواء حين عصيا الله سبحانه وتعالى .. لم يصرا على المعصية .. ولم يحاولا رد الأمر على الأمر .. انهما لم يقولوا يارب إن حكمك ليس حقا كما فعل الشيطان حين قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .. لم يفعلا ذلك ولكنها اعترفا بذنبيهما .. وطلبا للمغفرة والرحمة من الله .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

الآية ٢٣ سورة الاعراف

تلك هي الكلمات التي قالها آدم وحواء بعد المعصية .. قالوا : يارب ان قولك حق وحكمك حق .. ولكنا لم نستطع أن نحمل نفسينا الضعيفتين على إتباع المنهج .. فظلما أنفسنا .. أى أننا مشينا بها في طريق الهلاك .. ونحن نطلب منك المغفرة والرحمة .. فإن لم تعطهما لنا نكون من الخاسرين الذين خسروا انفسهم يوم القيامة .

وهكذا طلب آدم وحواء من الله ان يتوب عليهما .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

الآية ٣٧ سورة البقرة

والتوبة تمت على ثلاث مراحل .. المرحلة الأولى : أنه تعالى شرع التوبة لعباده .. المرحلة الثانية : أنهم عندما تابوا قبلها منهم .. والمرحلة الثالثة : من التوبة تكون بعلم عودتهم

إلى المعصية .. بعض الناس لا يستوعب .. قول الحق تبارك وتعالى :

﴿مَنْ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

من الآية ١١٨ سورة التوبة.

وبعض الناس يتساءل : إذا كان الله قد تاب عليهم فلماذا وجبت عليهم التوبة ؟ نقول إن تشريع الله سبحانه وتعالى للتوبة لا بد أن يحدث قبل التوبة .. فقله : « تاب عليهم » .. أى شرع لهم التوبة ..

قال لهم إذا فعلتم دنبا أو معصية فتوبوا .. ومادام الله جل جلاله قد طلب منهم أن يتوبوا فإسألهم يتوجهون إليه بالتوبة فيقبلها الله منهم .

وتشريع التوبة ليس رحمة بالعاصي وحده . ولكن بالمجتمع كله .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو لم يفتح باب التوبة .. لازداد كل من يرتكب معصية في معاصيه .. فمادامت لا توجد توبة .. ومادامت المعصية تؤدي إلى الخلود في جهنم .. فكل من ارتكب معصية واحدة .. يملأ حياته بالمعصي .. فمادام لا أمل له في الجنة .. فليأخذ نصيبه من الدنيا .. وهذا يشقى المجتمع كله .. لأن كل عاص سيزداد معصية .

وانتشار المعصية لا يعانى منها فرد .. بل يعانى منها المجتمع .. ولكن الله تبارك وتعالى - بتشريع التوبة - قد رحم المجتمع من انتشار المعاصي .. فالمعصية الأولى لا تؤدي إلى الخلود في النار إذا تاب الإنسان عنها ورجع إلى الله .. ولذلك فإن الإنسان لا يتأذى في المعصية .. بل يذهب إلى جانب الخير .. فيتوب إلى الله .. ويكثر من عمل الخير فيغفر له

ذنبه .. وبذلك يبقى الأمل في جنة الله .. وتبقى الرغبة في الخير .. فينصلح المجتمع ويملاء الخير . فالتوبة رحمة للمجتمع .

إبليس تأبى على أوامر الله .. وزاد ذلك بأنه سيغوى الإنسان على المعصية .. فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ قِيمَا أُغْوِيْتَنِ لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ
ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَإٍنْ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

الآيات ١٦ - ١٧ سورة الاعراف.

إن إبليس لم يعترف بمعصيته .. بل اصر عليها . وقال سأفعل كذا وكذا وكذا في اصرار على المعصية .. أما آدم وحواء فقد اعترفا بذنبيهما وهذه نقطة هامة .. لا بد ان نلتفت اليها . ليتبه الناس الدين يقدمون على المعصية .. ألا يبرروها برد الأمر على الله .. كأن يقولوا تغيرت الظروف .. أو الوقت قد تغير ..

مثلا الذين يتعاملون بالفائدة الثابتة مع البنوك .. وهذه فيها شبهة ربا .. نقول لهم لاتقولوا ان الربا ليس حراما . وأن الفائدة الثابتة نظام عالمي .. وأن الدنيا كلها تتعامل بها .. وأن الزمن قد تغير .. إلى آخر ما نسمعه في هذه الأيام .. انكم بقولكم هذا تخرجون أنفسكم من نطاق رحمة الله .. إلى نطاق الطرد من رحمته سبحانه وتعالى .

ولكن قولوا يارب . لم نقدر على أنفسنا .. فاغفر لنا وارحمنا ، وفي هذه الحالة تكون قد اتهمت نفسك بالصعف والغفلة والظلم .. وأبقيت نفسك في نطاق الإيمان ، ولكن أن

ترد الحكم على الله .. وتقول إن الربا ليس حراما .. تكون قد خرجت من الإيمان .. الى الكفر والعياذ بالله .
 فإذا ارتكب إنسان معصية فلا يحل أن يبرر ارتكابها أو يدافع عنها .. ويدعى أنها حلال .. ولا يقول إن الظروف قد تغيرت .. وكان الواجب أن يتغير الحكم .. فإن ذلك فيه رد لأمر الله يخرج الإنسان من الإيمان الى الكفر .. ومن الرحمة الى اللعنة .. وهذا هو الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس ..

إبليس عصي وتكبر .. وأدم عصي ، ولكنه اعترف بذنبه .. وحينما اعترف آدم وحواء بذنبيهما علمهما طريق التوبة .. ولولا أن الله جل جلاله علمهما .. لما عرفا كيف يتوبان .. فالتوبة تمت بإيجاء من الله سبحانه وتعالى .
 وإذا تدبرنا قول الحق جل وعلا .. نرى أن الحق تبارك وتعالى قال : « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا » نلاحظ هنا انها تحدثا بصيغة الجمع . انهما لم يقلوا ربنا ظلمنا نفسينا .. لأن الخطاب لا يشمل آدم وحواء فقط بل يشمل ذرية آدم المظمورة في ظهره .. حيث قال الحق جل جلاله لهما :

﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ الْحِينِ ﴾

الآية ١٢ سورة الاعراف

انه يجب أن ننتبه .. إلى الآيات التي تروى لنا عملية الهبوط .. فمرة يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

من الآية ١٢٣ سورة طه

(ومرة يقول جل جلاله :)

﴿قُلْنَا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾

من الآية ٣٨ سورة البقرة

المخاطبون هم آدم وحواء وإبليس .. والعداوة هنا مسبقة بين الإنسان والشیطان .. ولكن قوله تعالى : « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو » تین لنا أن العداوة بین طرفین .. آدم وحواء طرف .. وإبليس طرف آخر ، فكأنها فريقان آدم وحواء وذريتهما ، وإبليس وذريته .. فلا تعارض . ويجب علينا أن نفهم .. أن استخدام الحق لعبارة بعضكم لبعض عدو . أنه سيكون هناك صراع وعداء بين قرية آدم وقرية إبليس .. وأن هذا الصراع مستمر بعمر الدنيا فقط ولا يمتد إلى الآخرة .. ولكنه بالنسبة للشیطان والاسان صراع مستمر بعمر كل منهما في الدنيا .. وليس بعمر الدنيا كلها .. فإذا مات الشيطان .. أو مات الانسان انتهى الصراع بالنسبة لهما ، وعمر الجن اكبر كثيرا من عمر الانسان .. واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى في حق الجن :

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

وَالْأَطْرَافِ مُسْتَقِيمًا﴾

الآية ٣٠ سورة الاحقاف

فكان هؤلاء الجن .. عاشوا عصر موسى عليه السلام .. وظلوا أحياء حتى نزل القرآن الكريم .. أي مايقرب من ثلاثة آلاف سنة .. ولا يوجد من البشر من عاصر موسى .. وعاصر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .



صراع في الدنيا

إن الصراع بين الشيطان والإنسان - كما قلنا - فترته محدودة بحياة الاثنين . ولا يمتد بعد الموت . . ولا يكون في الآخرة . .

الحق سبحانه وتعالى . . يتوجه بعد ذلك بالنصح . . إلى أولاد آدم ليحصنهم من الشيطان . . فيقول جل جلاله :

﴿يَبْنَىءْ أَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ

وَرِيثًا وَلِبَاسُ السَّقْوَىٰ﴾

من الآية ٢٦ سورة الاعراف

والخطاب هنا موجه . . إلى كل نفس من أولاد آدم لأن كل نفس من أولاد آدم . . لها معركة وعداوة مع ذرية إبليس . . الله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أنه أنزل لنا من السماء منهجا . . يستر عوراتنا . . ويدرسها . . والانزال يقتضي أن يهبط الشيء من علو . . وكل خير من الأرض هبط من السماء . . واللباس يصنع مما تنتجه الأرض . . وما تنتجه الأرض لا يكون إلا بالمطر الذي ينزل من السماء . .

ويجب أن نعلم أن الله تبارك وتعالى أنزل المنهج ليستر عورات البشر ، وعورات المجتمعات ، إننا إذا أقمنا المنهج ، فلن تظهر فينا عورات ولا سيئات . . ولأصبح المجتمع متجانسا مترابطا . . فكان الذي أنزله الله من السماء من مطر

يعطينا من الارض الثوب الذى يدارى عوراتنا الحسية ، ولباسا من القيم يدارى عوراتنا المعنوية . . بل واكثر من ذلك . . أعطانا الزينة من ريش الطير وغيره كنوع من الرفاهية والمتعة . فكان الحق سبحانه وتعالى أعطانا ترف الحياة . . وجعله حلالا لنا . . وأعطانا المنهج ليستر عوراتنا المعنوية . . فإذا كان اللباس المادى . . يدارى عورة الجسد فى الحياة الدنيا . . فإن لباس التقوى يدارى عوراتنا من فضوح الآخرة . . ولباس التقوى . . أى الذى نتقى به غضب الله سبحانه وتعالى . . هو خير من اللباس المادى . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى عنه :

﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

« من الآية ٣٦ سورة الاعراف »

إذن فلباس التقوى - الذى هو خير من لباس الدنيا لأنه يقينا غضب الله جل جلاله - هو آية من آيات الله . . لنعرف أننا مكونون من مادة وقيم . . وكما للمادة عورات مادية تظهر إذا نزعنا ثيابنا . . فللقيم أيضا عورات تظهر لعدم التقوى . ثم يأتينا التحذير من الله سبحانه وتعالى :

﴿ يٰبَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ۚ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾

« من الآية ٢٧ سورة الاعراف »

الله سبحانه وتعالى . . يحذرننا من فتنة الشيطان . . والفتنة هى الاختبار . . فإذا نجحنا فى الاختبار فلن يحدث الفساد ،

ولكنه يحدث إذا سقطنا في الفتنة . والفتنة ليست شرا ولا خيرا . بل هي اختبار يأتي لك بالخير ان نجحت ، أو بالشرا ان سقطت فيه .

وهكذا جاء التحذير من الشيطان بتجربة عملية لآدم وحواء قبل أن ينزلا الى الأرض . . . وهي تجربة التكليف في الفعل ولا تفعل . . . وكانت التجربة كما في التكليف . . . فيها أمر وفيها نهى . الأمر أن آدم له أن يأكل من كل مافي الجنة التي كان يعيش فيها ، والنهي انه لايقرب شجرة واحدة ، في هذه الجنة . .

لقد افهم الله تبارك وتعالى آدم أن الشيطان عدوله ، وأنه سيوقعه في المعصية . . ولكن رغم هذا التحذير . . أكل آدم وحواء من الشجرة فظهرت عوراتهما . . وذلك حتى نعرف أن أى طاعة للشيطان . . لايتأتى منها الخير أبدا .

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نعلم أن آدم فيه عنصران . . عنصر البشرية التي تصيب وتخطيء ، وتعصى وتتوب ، وعنصر النبوة المعصومة من الخطأ . ولذلك يجب ان نلفظن الى النص القرآني في قوله تعالى :

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ﴾

من الآية ١٢١ سورة طه.

وهذه طبيعة البشر . . وقوله جل جلاله :

﴿ ثُمَّ آتَيْنَاهُ رُوحَنَا فُتَاتًا وَجَنَانًا وَهَدًى ۝ ﴾

من الآية ١٢٢ سورة طه.

وهذا الهدى الذى سيأتى به الانبياء من ذرية آدم . . ولذلك لايجب أن نقول كيف عصى آدم ربه وهو نبي ؟ لأن معصية آدم

حدثت قبل النبوة ..

وبعد المعصية جاءت النبوة وجاء الهدى .. إذن فالبشرية تنقسم إلى قسمين .. أنبياء يبلغون للناس المنهج عن الله .. وهؤلاء معصومون من الخطأ .. وقسم يبلغهم الله منهجه .. فيطيعون ويعصون ويتوبون . ولا يقول أحد أو يدعى أن آدم نزل إلى الأرض بسبب المعصية .. لأن الله خلقه وذريته للحياة في الأرض ونهاهم وحذرهم من فتنة الشيطان .. في قوله تعالى : « يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان » .. هذا التحذير للبشر وليس للشيطان .. فالله جل جلاله لم يقل للشيطان . لا تفتن بي آدم .. ولو قال له ذلك لخرج الشيطان عن مهمته في الحياة .. ولأصبحت الحياة ليست دار اختبار كما أرادها الله سبحانه وتعالى .. تؤدي بخلقه المختارين إما إلى الجنة .. وإما إلى النار والعياذ بالله .

ولذلك فإن فتنة الشيطان .. هي من تمام ما أراده الله المحياة الدنيا .. لكن بعض الناس يتساءل عن قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

الآية ١٣٢ سورة البقرة.

والنهي هنا للبشر .. والسؤال : هل يملك الناس اختيارا في الموت ؟ هل يستطيعون ان يحددوا وقته وزمانه ومكانه .. فلا يموتون الا وهم مسلمون ؟

نقول ان الحق تبارك وتعالى يريد أن يلفتنا الى ان الموت يأتي بغتة وفي أى لحظة .. فكونوا على الاسلام دائما .. حتى لا يفاجئكم الموت .. الا وأنتم مسلمون ..
 إن الله سبحانه وتعالى .. يريدنا أن نحرف ان فتنة الشيطان .. تخرجنا من جنة التكليف التي تقودنا الى جنة الخلود في الآخرة .. ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ تَزْيِيدَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْرُونَ لَهُمْ﴾

من الآية ٢٧ سورة الاعراف

أى أن الشيطان يرانا ونحن لانراه .. وهذا يعطيه قدرة على الاغواء .. لاننا مادمننا لانراه .. فاننا لانستطيع أن نعرف الجهة التي سيأتى منها .. أو أن ننتبه الى انه يوسوس لنا .
 ولكن هل تركنا الحق تبارك وتعالى للشيطان يغرينا ويغورينا ؟ .. أم أنه أوجد لنا الوقاية ؟

الحق جل جلاله شاء عدله .. ان يوجد لنا الوقاية من هذه الوسوسة .. ومن كل هذا الشر .. الوقاية لا تكون الا بالتمسك بمنهج الله .. والذي يتمسك بمنهج الله ويخلص له .. لا يستطيع الشيطان ان يصل اليه أبدا .. ولا أن يغويه . ولذلك نجد في الآية الكريمة :

فِعِزَّتِكَ لَاغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ . . .
 اعتراف من الشيطان بأنه لا يستطيع أن يقترب من يتمسك بالله ويمنجه لأنه في منعة منه لتمسكه بمنهج الله .

و هنا يأتي قول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

الآية ١٢ سورة الحجر

لقد كفل الحق تبارك وتعالى الحماية لكل عبد اخلص في
 ايمانه بالله .. وأخلص في عبادته .. ولذلك فإن المؤمنين
 يحفظهم الله جل جلاله من غواية الشيطان .. وفي ذلك يقول
 الحق سبحانه في وصف المؤمنين :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
 فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

الآية ٢٠١ سورة الاحزاب.

معنى هذا أن الشيطان إذا مس عباد الله المؤمنين فإن الله
 لا يتركهم ، وانما يذكرهم بمنهجه .. وحينئذ يبصرون الحق ،
 فيعودون إلى اتباع المهج . فكان الذي يتبع الشيطان مثل
 الأعمى .. الذي لا يرى شيئا فيتخبط في السير ويتعثر
 ويقع . والشيطان يحاول أن يعمى الأبصار .. حتى لا ترى
 الحقيقة .. ولا ترى آيات الله في كونه ولا تبصر شيئا
 إن الحق تبارك وتعالى يعطينا هذه الصورة وهو يصف لنا
 اتباع الشيطان في الآخرة في قوله سبحانه :

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ
 أَتَىكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

الآيتين ١٢٥ و ١٢٦ سورة طه.

أي أن مهمة الشيطان .. أن يعمى الانسان عن آيات الله
 في الكون .. فلا يرى عظمة الخلق .. ولا يرى قدرة الله
 الخالق سبحانه وتعالى .. وعدم رؤيته لهذه الآيات .. ينسيه
 عبوديته لله .. ويجعله يأخذ الدنيا على انها غاية وليست وسيلة
 للآخرة .. ولذلك فهو يحاول أن يأخذ منها كل ما يستطيع
 حلالا أو حراما .. لأنه مادامت لا توجد بالنسبة له الا

الدنيا .. فمهمته أن يشرع منها كل مانعطي بطريق مشروع أو غير مشروع .. والمهم عنده ومقياسه في النجاح .. هو ما يحققه من شهوات وبروات .. وسرقات ورشوة الى غير ذلك ..

هذا الصنف من الناس عندما يأتي في الآخرة يبعثه الله أعمى لا يرى شيئا .. يتخبط ويتعثر .. فادا سأل عن سبب هذا العمى وقد كان مبصرا في الدنيا .. فيقول له الله .. لقد كنت أعمى في الدنيا .. حقيقة كانت لك عيان ولكنك لم تكن تبصر بها آيات الله في كونه ، لهذا انطلقت تعصى وتكفر .. فكما نسيت آيات لله في الدنيا .. ينساك الله سبحانه وتعالى في الآخرة أى لاتتالك رحمته في هذا اليوم .. ولذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى أَفْتَوْىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ
وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

الآية ٧٢ سورة الاسراء.

والعمى هنا ليس معناه فقد البصر .. ولكن معناه فقد البصيرة التى يرى بها الانسان آيات الله التى تدفعه الى الايمان .. والى طاعة المنهج ..

ومن رحمة الله انه سبحانه وتعالى فضح لنا أساليب الشيطان .. وكيف يغوى الانسان .. وأبان لنا الطريقة التى يدخل بها إلى النفس البشرية ؟ والوسيلة التى بوقع بها الانسان في المعصية ؟ لقد وضع لنا هذا كله حتى ننتبه الى مداخل الشيطان للنفس البشرية .. لكى نسد هذه المداخل .. ولا ينفذ الشيطان الى نفوسنا ،

فما هى هذه المداخل ؟!

الفصل الخامس



مداخل الشيطان
.. إلى الإنسان

الله سبحانه وتعالى .. أخبرنا في القرآن
الكريم . أن هناك نزغاً للشيطان ..
وهمزا للشيطان .. ووسوسة للشيطان ..
ومسا للشيطان .. فما هو الفرق .. بين
هذه الأشياء كلها ؟ .. وما هي الطريقة التي
يدخل بها - الشيطان - إلى النفس
الشرية ؟ .. وكيف يدفعها إلى المعصية ؟ .. وكيف يخوف
أوليائه ؟ .. وسيطر عليهم بالخوف ؟ .. وكيف يهرب ويترك
الانسان الساقط في المعصية ثم يتبرأ منه بعد ذلك ؟

قبل أن نبدأ .. لا بد أن نقول أن للشيطان وسوسة . ولنفس
البشرية وسوسة ودفعاً إلى المعصية .. ذلك أن الله سبحانه
وتعالى .. أخبرنا في القرآن الكريم .. أن النفوس
تفاوت .. هناك النفس الطيبة .. والنفس اللوامة ..
والنفس الأمارة بالسوء .

فالنفس الطيبة هي التي لا تفعل الا طيباً والا خيراً ،
والنفس اللوامة .. هي التي يقع صاحبها في المعصية ، ولكنها
تلومه عليها .. فيعود الى الخير مرة أخرى ، وقد يقع الإنسان
في المعصية اكثر من مرة .. والنفس الأمارة بالسوء .. هي التي
اعتاد صاحبها السوء .. فلم يعد يثير فيه أى شعور بالندم
والاستنكار .. بل هو يعيش مع السوء .. ويأمر بالسوء وقد
اعتاده ، بحيث أصبح لا يفعل الا سيئاً .. ويستمتع بذلك
السوء !

هناك نوعان من الوسوسة . وسوسة الشيطان بالنسبة للإنسان . ووسوسة النفس له . فكيف نفرق بين وسوسة الشيطان . . ووسوسة النفس ؟

ونقول : ان الشيطان يريد الانسان عصيا على أى وجه . . فلا يهمه نوع المعصية . . ولكن يهمه حدوثها . . فاذا حاول أن يغري الانسان بالمال الحرام . . ولم يجد منه استجابة . . أسرع بزين له المعصية مع النساء بارتكاب الزنا والفاحشة ، فإذا فشل فى ذلك . . أسرع بزين له معصية الخمر . . ويحاول أن يعريه بها ، فإن سد عليه كل منافذ المعصية . . أسرع يحاول أن يفسد له الطاعة بأن يجعله مثلا يتماخر بالصدقة فيضيع ثوابها . . أو إذا جاء موعد الصلاة . . فإنه يحاول أن يمنعه من أدائها .

ويجب ان تعلم أن هذا الاغواء لا باقى قسرا أو قهرا . . فالشيطان ليس له سلطان انقهر على الانسان . . ولكن إذا اذن للصلاة - مثلا - فإنه يغريه ألا يقوم الى الصلاة . . وانما يؤجلها حتى ينتهى الفيلم الذى يشاهده فى التليفزيون . . فإذا انتهى الفيلم . . يذكره بأعمال يؤديها . . كأن يتصل بصديق له بالتليفون . . أو يتناول العشاء أولا . . أو يقوم بزيارة كان قد سبها الى غير ذلك من أفاعيل الشيطان .

فإن كان الانسان تاجرا . . فإنه يخوفه من أنه اذا قام للصلاة فستضيع منه صفقات ويضيع منه ربح . . وهكذا يظل ينقله من مشكلة الى أخرى . . حتى يضيع وقت الصلاة . . أو ينصرف عنها بالتدريج . . فان فشل فى ذلك . . فإنه يوسوس

له في وضوئه وصلاته .. فيقول له انك لم تحسن الوضوء
فأعده .. ويظل يشككه في وضوئه .. حتى يعيده مرات
ومرات .. ثم بعد ذلك يشككه في صلاته .. حتى يعيدها
مرات ومرات .. ويدخل الشك في نفس الإنسان ..
فلا يعرف كم صلى .. ولا يعرف هل أحسن الوضوء أم لا .

.. إذن فالشيطان لا يحبه نوع المعصية .. ولكن همه أن
تتم المعصية .

أما وسوسة النفس .. فهي أن تصر على نوع معين من
المعصية .. لا تريد غيره .. أي أنها تلح على صاحبها أن
يرتكب معصية بذاتها ويكررها .. ولا تطالبه بمعصية أخرى .





الفرق بين الوسوستين

ولكى تعرف الفرق بين الوسوستين نقول لك .. إذا كان من يوسوس لك لا يبعه إلا أن تقع في المعصية .. بصرف النظر عن نوعها .. فهذا هو الشيطان .. أما إذا كان هناك إصرار على معصية معينة ألفتها .. فذلك من نفسك .

إن إبليس دائماً يأتي من الباب الذى يرى فيه المنهج ضعيفاً .. فإذا وجد إنساناً متشدداً في ناحية معينة ، يأتي إليه من ناحية أخرى يكون فيها ضعيفاً .. فإذا كان الإنسان مثلاً .. متشدداً في الصلاة محافظاً عليها ويؤدّيها في أوقاتها .. جاءه إبليس من ناحية المال ، فبوسوس له حتى لا يخرج الزكاة ويقتّر ، ويأكل أموال الناس بالباطل ، مدخلاً في نفسه الوهم بأن هذه الطريقة تزيد ماله .. وتجعله غنياً وتبعد عنه الفقر .. والحقيقة غير ذلك .. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما نقص مال من صدقة) .. لأن الصدقة هي التي تكثر المال .. وتضع بركة الله فيه ليزداد وينمو .. والمال هو مال الله .. يتركه كل منا عندما يرحل عن الدنيا .. ولكن غير المؤمن يغفل عن هذه الحقيقة .

وحيثما يجد إبليس إنساناً متشدداً في الصلاة .. يحبا للمال .. يأتيه من ناحية ضعفه فيمنعه من الصدقة وأنواع

البر ، ثم يغريه بالمال الحرام ، وتبدأ المعاصي تنسج على قلبه
عودا عودا . . لتغطي القلب كله وتمنعه من ذكر الله .

ولعلنا نذكر قصة ثعلبة الذي طلب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يدعو له الله أن يغنيه . . فقال له رسول الله
عليه الصلاة والسلام : « قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه » . ولكن ثعلبة أصر . . فدعا له رسول الله صلى
الله عليه وسلم . فكثرت عنمه حتى ضاقت بها المدينة . .
فخرج أن خارجها . . وبدأ ثعلبة يغيب عن الصلاة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم . . فيحضر مرة ويتخلف مرة . .
حتى اقتصر على صلاة الجمعة . . ثم امتنع عن صلاة
الجمعة . . ثم امتنع بعد ذلك عن دفع الزكاة . . مدعيا أنها
حزية . . حتى نزل فيه قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُوزَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا
بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ يُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

(الآيات من ٧٥ - ٧٧ سورة التوبة)

وعندما نزلت هذه الآية لكريمة . . انزعج ثعلبة وأصرع
بحمل مال الزكاة . . إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
فلم يقبله منه . . وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . .

أسرع يحمل الزكاة الى أبي بكر . . ولكن ابابكر رفض أن يقبلها منه قائلا : ما كنت أقبل ما رفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وعندما جاء عهد عمر بن الخطاب . . عرض ثعلبة الزكاة على عمر . . فرفض أن يقبلها منه . . ومات ثعلبة في عهد عمر بن الخطاب .

. . هذه قصة ترينا كيف استغل الشيطان حب المال في قلب عبد من عباد الله . . ليخرجه عن الطاعة وعن المنهج . . وليقوده الى المعصية . . والى الكفر والعباد بالله ، والأمثلة على ذلك كثيرة . . إنه يبحث عن نقطة ضعف في الانسان لكي ينفذ اليه منها ، ولا يفتر عن ذلك ابدا حتى يوقعه في حبائله ويخرجه عن منهج الله .





البحث عن الضعف

وهكذا تعدد صور الاغواء ، فإذا وحد ابليس العبد المؤمن متشددا في الصلاة والزكاة . . وصعيقا من ناحية المرأة مثلا أتاه من ناحية هذا الضعف . . فيظل يزين له امرأة خليعة . ويوسوس له حتى يسقط في الزنا . . ويكون بذلك قد سقط في الكبائر . .

فإذا كان العبد المؤمن قويا في كل هذه النواحي . . جاءه ابليس وزين له الخمر . . أو الميسر أو مجلس السوء أو النجاسة . . المهم أن ابليس يترك للإنسان فقط تشدده ويأتيه من نقط ضعفه . .

إياكم أن تظنوا أن الشيطان حين يغوى الإنسان . . يأتي له عن طريق شر ينفر منه . . بل إن ابليس يلبس هذا الشر لباسا خادعا يجعله محببا إلى النفس . . سهلا عليها مرغوبا فيه .

فإذا كان إنسان يعاني ضيقا ماليا . . يأتي له ليحبسه في السركة ويزينها له . . فهو أولا يوسوس لمن يريد أن يدفعه الى السركة . . بأنها عملية بسيطة . . مستم بسهولة ولن تنكشف . . كأن يقول له ادفع هذا الرجل . . الذي يملك مالا الى الأرض . . ثم تظاهر بأنك تساعد . . على النهوض

والوقوف مرة أخرى .. وفي هذه الأثناء .. التي لا يكون فيها متنبها .. اسرق حافظة نقوده ..

انه هنا يسط له الأمر ، وبليس الشر بلباس خادع .. يأتي مثلا يغري إنسانا بسرقة حقيبة .. فيبين له مكان شيخ كبير يحمل حقيبة ثقيلة .. ويقول له اعرض عليه أن تحملها عنه لتعيه .. لأنه شيخ ضعيف .. وعندما تأتي لتحمل الحقيبة .. يوسوس لك .. غافل صاحبها واهرب بها .

يأتي الى انسان .. ليغريه على أن يمد يده لمال حرام .. ويكون هذا الانسان مثلا يعمل صرافا .. فيوسوس له أنه محتاج للمال الذي في خزينته .. وأنه سيأخذه كسلفة فقط .. ويعيده عندما يتيسر حاله في القريب العاجل .. ويمد الصراف يده الى المال الحرام .. ولكنه لا يستطيع أن يرده ..

ان الشيطان ليس أبله .. بحيث يأتي لك بصورة الشر .. على أنه شر .. ويذكرك بما ستعرض له من العذاب في الدنيا والآخرة .. بل إنه يتسلل لك على أساس أنه خير لك .. والشيطان يجري في الانسان مجرى الدم ..

ان من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه كشف لنا اسلوبه .. حتى نستطيع أن نقى أنفسنا منه .. والشيطان لا يتركك أبدا ما دمت على طاعة .. بل يحاول أن يتغذ اليك من ناحية بعد أخرى حتى يوقع بك .. إلا اذا استعذت بالله دائما واستعنت به .. فإنه لا يستطيع أن يتغذ اليك ولا يكون له عليك سلطان .



الوسوسة في الصلاة

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من طريق يستخدمه الشيطان دائما في الايقاع بخلق الله في المعصية . . فقال تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ
رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الآية ٩٠ سورة المائدة)

وهكذا فإن كل من أخذ طريق الخمر أو القمار أو التقرب للأصنام . . أو محاولة ضرب الاحجار أو قراءة الورق . . أو أى نوع من أنواع الدجل لمعرفة الغيب . . فإنه يرتكب عملا من الاعمال التى يزينها الشيطان للإنسان . . ليصرفه عن عبادة الله ويوقعه في الحرام .

الله سبحانه وتعالى حذرنا من ذلك . . فقال

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا ﴾

(من الآية ٩٢ سورة المائدة)

هذا التحذير ليعلمنا الله أن الشيطان لن يدعنا ندخل في مجال طاعة الله وطاعة الرسول . . وسيحاول جاهدا أن يمنعنا

من ذلك . . فإذا أوصدنا كل السبل . . يأتي لحظة الوضوء . .
 فيجعلنا ننسى هل غسلنا أيدينا أم لا . وهل توضأنا كما ينبغي
 أم لا . ثم يأتي وقت الصلاة . . فينسينا عدد الركعات . . أو
 عدد السجعات . وهذا ليس علامة سيئة . ولكنها علامة
 لصالحنا . فالشيطان لا يقترب من الشيء الخرب أبدا . . فلو
 كانت صلاتنا غير مقبولة ما اقترب منها . . ولكن اقترابه
 منها . . معناه أنها مقبولة . . وأنه يريد أن يفسدها . . ولذلك
 ما يكاد الإنسان يبدأ الصلاة . حتى يذكره بأشياء نسيها . .
 ويوسوس له محاولا أن يفسد صلاته .

ومن وسوسة الشيطان أيضا . أنه يغرينا بمعضية رسول
 الله صلى الله عليه وسلم . . ويقول لنا : هذا الأمر لم يرد في
 القرآن فلا تطيعوه . . مع أن الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

(من الآية ٥١ سورة الفجر)

وفوض الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في
 التشريع . . فقال :

﴿ وَمَا أَسْكُرُوا الرَّسُولَ فَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا ﴾

(من الآية ٧ سورة الحشر)

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك
 الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا

وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال
استحللناه ، وما وجدنا ما فيه من حرام حرّمناه ، ألا وإن
ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله .

ووسائل الشيطان في الاغواء متنوعة .. فمنها التزغ ومنها
الهمز ، ومنها الوسوسة .. والمس ..

فكلمة تزغ معناها نخس .. وهي تختلف عن اللمس ..
لأنه بين الناخس والمخوس مسافة .. أما المس فهو مباشرة
بلا مسافة ، ولكن لا تدرك ولا تحس بحرارة من مس .. أما
اللمس فإنه إدراك حرارة الملموس ..

اذن فهناك ثلاث مراحل .. التزغ والمس واللمس ..
والتزغ من الشيطان هو أن يدخل خاطرا مهيجا الى نفسك ..
فيثير فيها الغضب . ويجعلك الغضب تتصرف تصرفا
أحق .. لا يتفق مع العقل ولا من الدين .

لهذا عندما خاطب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم
ربه .. قال كيف يارب أتقى الغضب ؟ قال الحق سبحانه
وتعالى :

﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ

(من الآية ٢٠٠ سورة الاعراف)

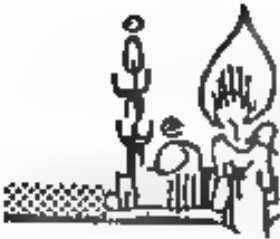
ونحن لا نبحث هذه المسألة .. بالنسبة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم .. وإذا كان بعض الناس يتساءل .. هل

الشیطان يستطيع أن يترغ رسول الله عليه الصلاة والسلام . .
نقول لهم إن الآية لم تقل (إذا) . . إنما قالت (إما) ، وإما
معناها أنه يجوز أن يحدث ذلك ويجوز ألا يحدث . . إذن
فالمسألة فرض فيه شك . . وعدم تأكيد لشيء لن يحدث . .
لرسول الله صلى الله عليه وسلم . .

ولكن لنفرض أنه حدث . . فلماذا يحرم الله رسوله صلى
الله عليه وسلم من لذة مواجهة الشيطان ليصفعه ويهزمه ؟
رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (ما منكم من أحد
إلا وقد وكل به قرين من الجن ، قالوا وإياك يا رسول الله ،
فقال وإياي . . إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني
إلا بخير) .

والشيطان ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب
إلى المسجد . . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : إن
عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكنني
الله منه فذغذته (خنقته) فأردت أن أربطه . إلى سارية من
سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم . فذكرت
قول أخى سليمان : رب اغفرى وهب لى ملكاً لا ينهى لأحد
من بعدى فرده الله خاسثاً . .

إذن فالمواجهة حدثت . . وكانت هزيمة الشيطان سريعة . .
والله سبحانه وتعالى طلب من رسوله صلى الله عليه وسلم أن
يستعِذَ به ، والاستعاذه هي طلب المعونة . . وأنت لا تطلب
المعونة إلا ممن هو أقوى منك . . وأقوى ممن يحاول الاعتداء
عليك .



تفوق عنصر الشيطان

الشيطان له خصوصيات كثيرة .. يتفوق فيها على الانسان .. منها خفة الحركة .. وعدم قدرتنا على رؤيته .. وقدرته على التغلغل في نفوسنا .. اذن فمطلوب منا .. أن نستعين بمن هو أقوى قادر .. ولا يوجد أقوى على الشيطان من حالقه .. والله سميع عليم .. يسمع استعاذتنا .. ويعلم مما نستعيذ ..

ويجب أن نلاحظ .. أن الله عز وجل .. قد فرق في الحديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته .. فعندما خاطب رسوله عليه الصلاة والسلام قال : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » .. ولكن عندما خاطب أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
لَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

(الآية ٢٠١ سورة الامراء)

اذن فعندما تكلم الحق عن المؤمنين .. انتقل الى المس .. ولكن من رحمته أنه لم ينتقل الى مرحلة اللمس (الالتحام) ..

فالشيطان لا يتلحم بإنسان مؤمن . . وإنما يكون على مسافة قريبة منه . . ماذا يحدث في هذه الحالة ؟ . . يتذكر المؤمنون قدرة الله عز وجل على الشيطان . . ويتذكرون أن منهج الله بحميتهم من الشيطان . . وعين الله لا تعمل عن عباده أبدا . . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في حديث قدسي :

(يا عبادي إن كنتم تعتقدون أني لا أراكم فالخلل في إيمانكم ، وإذا كنتم تعتقدون أني أراكم فليَمَّ جعلتموني أهون الناظرين إليكم)

وكما قلنا فإن الشيطان . . أكثر حركة وإعواء بالنسبة للمؤمنين . . لأن العاصي عاون الشيطان شهوات نفسه . . وأصبح يعبد شهواته . . فلم يعد الشيطان محتاجا إلى جهد كبير . . ليقوده إلى المعصية . . أما المؤمن الطائع . . فإنه محتاج إلى جهد كبير . . ليقع في المعصية .

قلنا إن الشيطان له نزغ . . وهمز . . ووسوسة . . ومس . . وتحدثنا عن النزغ وهو كما قلنا أن يأتيك الشيطان بخاطر . . يثير فيك الغضب فتفقد عقلك . . وترتكب ما يغضب الله في نزوة الغضب .

أما الهمز فهو ما يلقيه إليك الشيطان . . بصوت خافت محاولا أن يدبر لك ما تفعله لتنفيذ معصية ، أما الوسوسة فهي المحاولة الدائمة للشيطان . . يأتي لك من الجانب الضعيف . . محاولا أن يجلب إلى نفسك الخروج عن طاعة

الله .. وهذا هو العمل الدائم للشيطان .. هذه مهمته .

ولكن ما هو المس ؟ .. الله تبارك وتعالى يقول عن الذين يأكلون الربا :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾

(من الآية ٢٧٥ سورة المائدة)

فكان الشيطان قد مس التكوين الانساني .. مما أفسد استقامة ملكاته .. التكوين الانساني له استقامة من الملكات .. بحيث تنسق كل حركة مع غيرها .. فإذا ما مس الشيطان أحدا من البشر .. فإن هذا الانسان الممسوس يفقد انسجام حركات جوارحه .. فتتخط ملكاته مع بعضها البعض وتكون حركاته غير منتظمة وغير منطقية .

إذا أردنا هذا الوصف في الآخرة .. فهي سمة تميز اهل الربا .. وإذا أردناها في الدنيا .. فهي سمة لحركة الانسان غير المنطقية .. بحيث أن الحركة تتسم بالهستيريا .. وعندما نتأمل العالم الآن وما يحدث فيه .. نجد أن الاضطراب والحركات الهستيرية تسوده .. كأن يدخل انسان الى مدرسة أطفال .. لا يعرفها وليس له عدا لمن فيها .. ويقتل كل الأطفال بلا سبب .. أو أن يأتي انسان الى انسان لا يعرفه .. ويلقى به تحت عجلات المترو .. كما يحدث في نيويورك هذه الأيام .



والله سبحانه وتعالى .. خلق العالم على هيئة التكامل وليس التكرار .. ولذلك تنوعت الملكات والامكانيات .. وارتقى الانسان في الكون وتقدم .. وكان المطلق يقتضي أن يعيش العالم مستريحاً وراضياً .. لأن الحضارة وفرت له أكبر الثمر .. بأقل مجهود وفي أقل زمن .

ولكن هل العالم الذي نعيش فيه عالم منطقي على هذا الواقع ؟ .. لا .. اننا نجد أغنى بلاد العالم .. وأحسنها من ناحية الرقي الاقتصادي .. هي التي تمتلئ بأمراض النفس .. من قلق وعم واكتئاب .. وحزن واضطراب وشذوذ وانتحار .. ذلك أن العالم الذي نشكومه الآن لا يسير بمنهج الله .. ولكن يسير بهوى النفس وإعواء الشيطان .. ولذلك أصيب العالم بالهستيريا والتناقض والتخبط .. إن العالم وما يجري فيه يبدو الآن .. مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَيُوقَمُ الَّذِي يَحْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾

(من الآية ٢٧٥ سورة البقرة)

فلماذا لم يبحث المفكرون عن سر هذا الشقاء ؟ .. ألم يكن على المفكرين أن يسألوا أنفسهم .. لماذا نشقى كل هذا

الشقاء ؟ .. وعندنا من التقدم المادى ما يكفل سعادة البشر ..
لماذا لم يبحثوا ؟ .. وكان يجب أن يفعلوا ذلك .

وإذا كانت البلوى عامة كما قلنا .. فإنها لا تترك
دولا متخلفة .. ولا دولا متقدمة .. ان البلوى تشمل البلاد
كلها . ولذلك لا بد أن يكون لها سبب مشترك .. والبحث
لا بد أن يقودنا الى أن العالم قد ابتعد عن منهج الله ..
فأصبحت الدنيا عندنا غاية وليست وسيلة .. والمآل أصبح
عندنا هدفا .. وليس مجرد مسألة لازمة لحركة الحياة وعمارة
الأرض .. فالمآل هو مال الله .. لا يملكه أحد .. وعندما
نموت .. نترك مال الدنيا للدنيا .. فلماذا غيروا
استخدامه ؟ .. وجعلوه غاية ؟! والجواب فى كلمة واحدة :
انه البعد عن منهج الله .

ان الدنيا كلها .. لا يمكن أن تكون غاية .. أولا لأنها فترة
محدودة وتنتهى ، وثانيا لأن متاعها قليل ، وثالثا لأن البقاء فيها
ليس مضمونا .. فأنت لا تضمن الحياة فيها الى الساعة
القادمة ..

وإذا أردنا أن نحدد مهمة الشيطان فى كلمات قليلة .. فإن
أساس هذه المهمة .. أن يجعلنا ننسى أن الله موجود .. وأنه
يسمع ويرى .. فالإنسان لا يسرق أو يزن أو يقتل .. وقد
استحضر فى ذهنه أن الله يراه .. وأنه سيعاقبه على
ما يفعل .. أنه لو استحضر ساعة الجريمة العقوبة عليها لما
أقدم على جريمته .. ولكن الشيطان مهمته أن يجعلنا ننسى

أن الله موجود .. فالذى يرتكب معصية في الخفاء .. يعتقد أنه مادام اختفى عن أعين الناس .. فإن أحدا لم يره .. وينسى أن الله يسمع ويرى .. ولا تخفى عليه خافية .

وفي ختام هذا الفصل نقول : أن منهج الشيطان . هو أن يكشف نقط ضعف الإنسان لينفذ منها .. وأنه يصور لنا المعصية في صورة محبة الى النفس . فنغلبها بصورة زائفة للخير .. وأن شغله الشاغل .. هو مع الطائعين لله .. لا يتركهم أبداً . وأنه ينزع الإنسان بما يثير في نفسه الغضب .. ويهمس له بما يسر له الشر .. ويوسوس له بما يزين له المعصية .. ويجعلها محبة الى نفسه . فإذا تمكن من الإنسان مسه . فأفقده انسجام حركاته . فتصح تصرفاته نوعاً من الهيستيريا والتخبط .. والشيطان له طرق اغواء متعددة والله سبحانه وتعالى يعين المؤمنين من عباده على مقاومته ومخالفته ويترك له عباده الكافرين ليزيدهم ضلالاً ومعصية .. والله حل جلاله لا يعين كافراً ولا يهديه .

الفصل السادس



الشیطان وجنوده

وإذا أردنا أن مكمل الصورة .. فإننا
نقول : إن هناك جنودا للشيطان .. جنودا
مادية من الإنس والجن .. وجنودا معنوية
يستخدمها في اضلاله للناس .

ولكن قبل أن نبدأ الحديث ، وحتى
تكون الصورة واضحة فإنه لا الشيطان
ولا جنوده يخرجون عن أمر الله الفعلي في كونه .. والله سبحانه
وتعالى أعطانا تجربة عملية .. نأني أخضع الشياطين الذين هم
أعلى عنصرا في الخلق لبشر نبي هو سليمان عليه
السلام .. وجعلهم يأتقون بأمره ولا يستطيعون مخالفته ..
واقرا قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنَ الْجِنَّ مَرِيَعُمَلُ يَبِي يَدِيهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ
مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

من الآية ١٢ سورة مباء.

وهكذا أخضع الله سبحانه وتعالى الجن - شياطينهم
وصالحهم - - كما قلنا - لبشر مخلوق من طين .. هو سليمان
عليه السلام .. ولو أراد الحق سبحانه وتعالى .. أن يخضع لنا
شياطين لأحصعهم لنا .. لأن الله حل جلاله .. استجاب
لدعوة سليمان حين دعاه يطلب ملكا لا يعطيه الله لأحد من
بعده .. واقرا في القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْقُصُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ فَتَنَزَّلَ إِلَيْهِ تَبَارَكَ بِأَمْرِهِ رُحَاءُ

حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيْطَانُ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٥﴾

الآيات ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ سورة هـ

إذن فالحق سبحانه وتعالى . . حين أراد أن يخضع الشياطين
للإنسان أنخضعهم رغم إرادتهم قهرا . . فلا يعتقد أحد أن
الشياطين في الأرض تقوم بما تقوم به . . رغما عن إرادة الله في
كونه . . بل كما قلنا هي من تمام مهمة الدنيا أن يكون فيها
إغواء . . وفيها جهاد وإيمان . . وأن ينتصر المؤمنون بجهادهم
وإيمانهم . . على اغواء الشيطان فيستحقوا الجنة .

إن الشيطان كما قلنا له جنود مادية وجنود معنوية . . ومن
أكبر جنود الشيطان المعنوية الغرور . فهو يظل يحوم حول
الإنسان حتى يدخل إلى قلبه الغرور المعنوي والمادى ويحاول أن
يجعله يغتر بماله . . أو بعلمه أو بقوته . . أو بأي شيء آخر . .
المهم أن يغتر الإنسان . . وبحسب أنه استعنى عن الله تبارك
وتعالى . . وينسب الفضل الى نفسه فيقع في المعصية
والكفر .



الشیطان فی بحر

ولنتظر ماذا فعل الشيطان في غزوة بدر مع الكفار ليحرضهم على قتال المؤمنين .. إن القرآن الكريم يروى لنا هذه القصة .. فيقول :

﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ
الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءِ الْفِئَتَانِ
نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

الآية ٤٨ سورة الأنفال

هكذا كان دور الشيطان في غزوة بدر .. بدأ بزرع الكبر في قلوب الكفار .. وقال لهم ستغلبون وتتصرون على المسلمين .. إنكم الأقوياء في العناد .. وفي العدة .. وأنهم قلة بالنسبة لإعدادكم .. انكم ستغلبونهم حتما .. وأنا معكم سأنصركم .

وظل يدخل الكبر في نفوس الكفار .. ويزين لهم أنهم أقوياء .. وأنهم متصرون لا محالة .. حتى صدقوه وذهبوا ليحاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين .

وعندما وصل الكفار إلى موقع لمعركة وأصبح القتال حتمياً ، نظر الشيطان ورأى قوة الإيمان . . وبأس المؤمنين وتأيد الله لهم . . فأسرع هارباً تاركاً أوليائه الذين وعدهم بأنه لا غالب لهم . . أسرع هرب بعيداً . وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

« إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » .

هنا يتوقف بعض الناس . . ليقولوا كيف يقول الشيطان إني أخاف الله . . وإذا كان يخاف الله تبارك وتعالى . . فلماذا المعصية والأصرار على المعصية ؟ . . وماذا يخيف الشيطان . . وهو مطرود من رحمة الله . . ملعون رجيم خالد في النار هو وكل من تبعه ؟ . .

نقول : إن الشيطان يخاف العذاب الذي ينتظره في الآخرة . . وهذا الخوف يملأه رغم كل ما يفعله في الدنيا . . إنه يتبرأ من كل معصية تمت على يديه . . ويحاول أن يتنصل منها ويهرب من مسئوليتها أمام الله . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى .

﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَا كُفْرَ قَالَ إِنِّي

بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

آية ١٦ من سورة الحشر

وهكذا يحاول الشيطان أن يتنصل من مسئولية إغواء الإنسان بالكفر والمعصية . حتى يوم القيامة ، عندما يقف أمام الله ، يلقي اللوم كله على الإنسان . . ويحاول أن يهرب من المسئولية .

ويعطينا الحق سبحانه وتعالى صورة لهذا المشهد . . في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا آتَاكُمْ بِصُحُفٍ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

« الآية ٢٢ سورة ابراهيم »

إن الشيطان . . الذي زين للناس كل المعاصي والكفر ، يأتي يوم القيامة ويتبرأ مما فعل ، ويحاول أن يلقي اللوم كله على الانسان . . ويقول إنني لم أفعل شيئاً . . إلا أنني دعوتكم فاستجبتم لي . . ولولا أنكم في أنفسكم تريدون الكفر والمعصية وتميلون إليهما ، ما كنت قادراً على أن آخذكم إلى معصية الله . . فلا تلقوا اللوم على . . ولكن ألقوه على أنفسكم ، لأنكم استمتعتم إلى إغوائى . . ولم يكن لي سلطان أن أقهركم على المعصية وهذه حقيقة ، لأن الشيطان لا يملك أن يقهر إنساناً على معصية الله جل جلاله .



لا عقاب على القهر

إن من دلائل رحمة الله بعباده أنه يسقط عنهم كل عمل يتم قهرا حتى يكون الحساب عدلا . فكل ما يقهر الانسان عليه ويفعله رغم ارادته لا يحاسب عليه يوم القيامة . مصداقا لقول الحق سبحانه :

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ كُفْرَةٍ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾

من الآية ١٠٦ سورة النحل.

وهكذا فإن الذي يكره على إعلان الكفر - وقلبه مؤمن - لا يحاسب على ذلك . . . ولقد جعل الله تبارك وتعالى منطقة الحساب - وهي ما يعتقده القلب - لا يمكن أن تخضع لأي إكراه . . . فانت تستطيع أن تخضع الإنسان ليفعل ما تريد رغما عنه . . . ولكنك لا تستطيع أن تكره قلبه أبدا على أن يحك وهو يكرهك ، ولا أن تخضع القلب قهرا ليؤمن بما لا يريد أن يؤمن به .

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الشيطان ليس له سلطان على الإنسان . . . والسلطان إما أن يكون سلطان القهر . . . بحيث يجعل الإنسان يعمل شيئا رغما عنه بالقوة ، وإما سلطان الحاجة بحيث يقنع الإنسان بأن يفعل شيئا فيفعله بإرادته . .

والشيطان في كلتا الحالتين لا يملك سلطان القهر ولا سلطان
الحجة .. ولكنه - كما قلنا - ينفذ من جوانب الضعف في
الإنسان .. فيزين له ما تهواه نفسه حتى يقع في المعصية .
والآية الكريمة تقول :

« ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » .

مصرخكم .. أي أسرع لتجلبته ليزيل أسباب صراخه ..
وفي هذه الحالة لابد أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يزيل
أسباب الصراخ .. فإذا هاجم لص شخصا وصرخ طالبا
التجدة ، فإنه لا يجب لتجلبته إلا إنسان قوى يستطيع أن
يتغلب على المهاجم ، ولكن إذا كان الذي سمع الصراخ شيخ
ضعيف فإنه لا يستطيع أن يصرخه ، أو يزيل سبب
صراخه ..

إن الشيطان يقول .. أنا لا أملك القوة لأزيل سبب
صراخكم من العذاب الذي أنا ذاهب إليه معكم ، ثم يتبرأ
من الذين كفروا بسبب إغوائه .. ويحاول أن يتصل من
المسئولية فيقول كما يروى لنا القرآن الكريم :
« إني كفرت بما أشركتمون » .

إذن فأول جنود الشيطان هو الغرور ، بأن يصور للإنسان
أنه يستطيع أن يحقق بقلته ما يشاء ويجعله يعبد نفسه . أو يعبد
عقله ، أو يعبد الأسباب ، أو يعتقد أنه أقدر من الله سبحانه
وتعالى على التشريع ، فيترك منهج الله وفوائده ويشرع نفسه بما
يسمونه القوانين الوضعية إلى آخر ما نراه ..

ويجب أن تعلم أن الشيطان له جنود ماديون .. هم
شياطين الإنس والجن ، وأولئك هم الذين اتبعوه واتخذوا

منهجه .. يقاتلون من أجل الباطل .. ويحاربون الحق .
 ويسخرون من المؤمنين ، وهؤلاء يقول عنهم الله سبحانه
 وتعالى :

﴿ اسْتَحْزَوْا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
 حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّا حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

الآية ١٩ سورة الاحزاب

حزب الشيطان هؤلاء .. يحاولون نشر الإلحاد ..
 ويقاومون كل دعوة للحق .. ويقعون أمام رسالات السماء ..
 يصلون عنها الناس .. وتصل المسألة إلى حد القتال ..
 مصداقا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾

من الآية ٧٦ سورة النساء

وهناك شياطين الجن وشياطين الإنس .. شياطين الإنس
 هم الذين يكون لهم الشيطان قرينا .. أى يكون مقترنا
 بالإنسان .. وعندما يكون الشيطان قريبا وملازما للإنسان ..
 يكون الإنسان قد وصل إلى قمة المعصية .. لأنه مادام
 الشيطان ملازما لشخص ما ، فهو لا يدفعه الى الخير أبدا ..
 بل يدفعه دائما الى الشر .. لأنه قرين سوء ..

وهكذا دائما قرناء السوء يساعد بعضهم بعضا ، ويقوى
 بعضهم قلوب بعض على اقتراف الآثم .. تراهم وقد اجتمعوا

على المعصية .. فى كل ليلة يجتمعون فى منزل أحدهم ..
ومعهم الخمر والنساء ويرتكبون كل ما يغضب الله . وتربط
بينهم المعصية فى الحياة الدنيا برباط قوى متين .. ولكن فى
الآخرة يتبدل الحال ، ويكونون أعداء لبعضهم البعض .

على أن الله سبحانه وتعالى .. شرح لنا ماذا يفعل لشيطان
فى قرينه .. فقال كما روى لنا القرآن الكريم :

﴿ وَلَا ضِلَالَهُمْ وَلَا ضَلَالَنَّهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيُبَيِّنْ لَهُمْ
آيَاتِنَا أَنْ لَا يَفْقَهُوا وَلَا يَتَذَكَّرُوا ﴾

وَإِذَا نَزَّلْنَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا فَأَصْبَحَ
بُخْتًا عَلَيْهِمْ وَمِنَ الْآيَاتِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ آيَاتِنَا

فَلْيُبَيِّنْ لَهُمْ آيَاتِنَا أَنْ لَا يَفْقَهُوا وَلَا يَتَذَكَّرُوا

خَيْرُ خُسرَانٍ أَنَا مُبَيِّنٌ

الآية ١١٩ سورة النساء

هذا هو ما يفعله الشيطان مع قرنائه . إنه أولا
يضلهم . أى يبعدهم عن منهج الحق .. ويفسد لهم هذا
المنهج .. وقد كانت الشياطين قبل نزول القرآن تسترق السمع
فى السماء على منهج الله .. فإذا عمدت شيئا منهم .. أسرعوا
إلى قرنائهم من الكهنة والسحرة وغيرهم .. وأبلغوه بما سمعوا
من المنهج محرفا .. بعد أن يضيفوا اليه ما يجعله وسيلة
للضلال .. ويخفوا منه كل ما يهدى الإنسان ، ثم يضيف
الكهنة بدورهم إلى المنهج ما يحقق لهم السلطان فى الدنيا ..
ويدعون أنه من عند الله .. وهو ليس من عند الله ..
ليفسدوا به فى الأرض .. ويضسوا به الناس ..

وهكذا حرفت الكتب السماوية .. واضيف إليها ما لم يأمر

به الله .. وما لم ينزله . وحذف وأخفى منها ما أمر به الله ..
فأصبحت لا تبقى بغرض الهداية .. ولكن عندما نزل القرآن
الكريم .. منعت الشياطين من استراق السمع .. وحفظ الله
القرآن من أى تغيير أو تبديل ..
هذا هو الاضلال .

أما قول الشيطان «لَأْمْنِيَهُمْ» . فإن الشيطان يزين
للإنسان المعاصي .. التى يتمنى أن يفعلها .. ويصور له أنها
ليست معصية ولكنها خير ..

أما مسألة الأنعام وتغيير خلق الله . فإنه من تمام الخلق هو
ما خلق الله سبحانه وتعالى . فكل خلق لله له مهمة فى
الحياة .. خلق ميسرا أن يؤديها .. وتغيير هذا الخلق هو إفساد
لهذه المهمة ..

ان الدين كانوا يشقون آذان الأنعام .. على أساس أنها
للأصنام وخدامها . خرجوا بخلق الله عن مهمته ..
فالأنعام هى متاع للإنسان .. يحمل عليها أثقاله .. ويأكل
لحومها ويأخذ جلودها وأصوافها .. ولكنها لا تفيد الأصنام
شيئا . فكأن الشيطان يريد أن يخرج خلق الله عما خلقوا من
أجله .. ويستعين فى ذلك بقرنائه ..

وإذا نظرنا الآن .. الى بعض التجارب التى تتم كأن يأتوا
بقدم كلب ويزرعونها فى جسد ضفدعة .. أو غير ذلك مما
يتم .. نقول لهم ماذا تستفيد الإنسانية .. من ضفدعة لها
قدم كلب .. الضفدعة لها مهمة فى الدنيا خلقت من أجلها ،
وخلقها بالطريقة التى خلقت بها هو من تمام أداء مهمتها ..

ولكنك جئت لتفسد هذه المهمة دون أن تفعل شيئا . . وكذلك كل التجارب التي تتم . . فيفتح عنها إنسان مشوه . . تقول أفسدت خلق الله . . ولم تستفد شيئا . . وكذلك بالنسبة لكل العبث الذي يتم للسيطرة على العقل البشري . . إنما يفسد مهمته في الكون .

الله سبحانه وتعالى . . إظهارا منه جل جلاله . . لتعاضد ما يمكن أن يفعله الشيطان . . يخبرنا بأن الشيطان . . يستعمل سلاح الخوف ليستعيد الإنسان . . فيقول حل جلاله .

﴿ إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ وَقَلَّ تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

« الآية ١٧٥ سورة آل عمران »

كيف يسيطر الشيطان على الإنسان بالخوف ؟ . . إذا تصدق الإنسان خوفه الشيطان من الفقر . . وإذا أراد أن يقول كلمة حق . . خوفه الشيطان من بطش رؤسائه الظالمين . . وإذا أراد أن يقوم للصلاة . . خوفه الشيطان من أنه سيضيع منه كذا وكذا من مصالح الدنيا . . وإذا قام ليجاهد في سبيل الله . . خوفه الشيطان من قوة الكافرين وأدخل في نفسه . . أنه سيقتل عند بدء المعركة . . وإذا أراد أن يسعى في خير . . خوفه الشيطان في أن ذلك سيضيع وقته ومصالحه . . وإذا أراد أن ينهي عن منكر . . خوفه الشيطان من أن ذلك سيجلب عليه الأذى . .

وهكذا كل خير يحطر على النفس . . يخوف الشيطان

الانسان من أنه سيقع عليه ضرر .. في ماله أو نفسه .. أو أولاده أو وظيفته أو تجارتته .. أو ما يهمه من أمور دنيوية وهذا السلاح - سلاح الخوف - يلقي الشيطان الرعب في نفس الانسان من ناحية الخير .

على أننا قبل أن نختم هذا الكتاب لابد من وقفة عن الانبياء والرسل والشيطان .. هناك حكم عام وخصوصية مع عدد من أنبياء الله ورسله .. الحكم العام هو قول الله سبحانه وتعالى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾

«الآيتين ٥٢ و٥٣ سورة الحج»

نقول ما هي أمنية كل رسول .. أمنية كل رسول هي أن يتشر منهجه .. ويؤمن به الناس .. وينجح في إصلاح حركة حياتهم .. وجذبهم للإيمان .. وتركهم الكفر .. هذه هي أمنية الرسول .. ولكن هل يترك الشيطان الناس يستمعون للرسول ويؤمنون برسالاتهم ؟ .. لا إنه يقف لهم ليصلهم عن منهج الله .. ويبدأ بالترفين الذين سيضرهم المنهج في نفوسهم الدنيوى .. فيجعلهم دعة له .. يقاتلون الرسالات ..

ويضعون العراقيل... ويعذبون من آمن حتى يكفر...
ويتصدون للمؤمنين بالإيذاء...

ولكن . هل يظل الباطل متصرا؟ .. لا . إن الله
تبارك وتعالى . ينسخ ما يلقي الشيطان وينصر رسوله ..
فتنجح الدعوة ويزداد عدد المؤمنين . هذا هو معنى الآية
الكريمة . الرسول يتمنى أن ينجح في مهمته .. ولكن
الشيطان يحرض العاصين والكافرين ضده .. وتنتهى المعركة
بانتصار الرسول على الشيطان

على أنه ورد ذكر الشيطان بالنسبة للرسول في أكثر من آية ..
في قول ايوب عليه السلام :

﴿ أَتَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِضَبِّ وَعَذَابٍ ﴾

من الآية ٤١ سورة ص

وقول يوسف عليه السلام :

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾

من الآية ١٠٠ سورة يوسف

وقول الحق جل جلاله .

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

من الآية ٤٢ سورة يوسف

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا أَنَسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾

من الآية ٦٣ سورة الكهف

وقول موسى ايضا عندما وكز الرجل وقتله :

﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾

من الآية ١٥ سورة القصص

وهذه الآيات على سبيل امثال لا الحصر . . ويقول ان كون الانبياء معصومين . . لا يعنى أنهم ممنوعون من جهاد النفس ، بل لابد ان يبقى لهم شيء يجاهد كل منهم به نفسه . فالرسول نفس بشرية . فيها نوازع وشهوات ، يتغلب عليها بجهاد نفسه . وادام لم يكن لنفوس الانبياء أمور ومواقف يجاهدونها . . لكانوا ملائكة

لقد جعلهم الله سبحانه وتعالى بشرا حتى يكونوا قدوة للمؤمنين بهم في كفاح الشيطان ، وكفاح النفس والتغلب عليهما . ولذلك سمى بعض الانبياء بأولى العزم . والعزم هنا معناه . العزم في طاعة الله ومحاربة الشيطان .





ونصر الله رساله

أما بالنسبة لموسى عليه السلام .. فعندما ضرب الرجل وقتله لم يكن قد كلف بالرسالة بعد .. ولكن كان فيه الايمان والتقوى .. فتنبه في الحال إلى أن ما عمله هو من عمل الشيطان .. واتجه إلى الله سبحانه وتعالى .. طالبا المغفرة والتوبة .. أما قوله عليه السلام : « وما أنساني إلا الشيطان » .. فمعناه أن الشيطان .. حاول أن يوسوس لموسى .. فتنبه موسى عليه السلام .. وتخلص من وسوسة الشيطان ..

أما بالنسبة ليوسف عليه السلام .. فإن قول الحق تبارك وتعالى : « فأنساه الشيطان ذكر ربه » .. فهو يحمل معنيين .. أن يكون الذى خرج من السجن أنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند عزيز مصر ، فلبث يوسف في السجن بضع سنين .. وإما أن يكون يوسف هو الذى سى .. ولكن المعنى الأقوى هو أن الشيطان أنسى ذلك الذى نجا أن يذكر يوسف عند عزيز مصر .. ويطلب منه إخراجه من السجن .. وسبب ذلك بقى في السجن بضع سنين ..

ويؤكد هذا أن يوسف قال للرجل « أذكرنى عند ربك » . أى عند الملك الذى أنت ذاهب اليه .. وقل له هناك مظلوم فى السجن .. أحواله كذا وكذا .. ومن هذا نفهم أن الآية

لا تعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله تبارك وتعالى .

أما قول «ايوب عليه السلام» : «أنى مسنى الشيطان
بنصب وعذاب» .. فقد كان أيوب يشكو لربه .. أن
الشيطان يوسوس له .. ويقول كيف وأنت نبي تصيبك كل
هذه الابتلاءات ؟ .. كيف تمرض وعحدث لك ما حدث ..
من فقد للأولاد .. ومعصية من الزوجة وغير ذلك .. ألم يكن
من الواجب أن يكرمك الله سبحانه وتعالى .. لأنك نبي ..
ويمنع عنك كل هذا ؟ .. ولكن أيوب عليه السلام .. الذى
أتعبه وأصابه كلام الشيطان بعذاب نفسى .. لم يلتفت إليه ..
ولمّا اتجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء .. يطلب منه أن
يذهب عنه ما هو فيه .. واستجاب الله جل جلاله لدعائه .

وهكذا نرى أن إبليس .. حاول أن يقترب من أنبياء
الله .. كما شارك فى تدبير خطة محاولة قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى يوم الهجرة .. ولكن الله جل جلاله عصم
الأنبياء والرسل منه .. ونصرهم عليه .

على أننا لا بد أن نتعرض للحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذى يقول فيه : (ان الشيطان يجرى فى الانسان مجرى
الدم) ذلك أن بعض المستشرقين يحاول التشكيك فى هذا
الحديث ..

ونقول لهؤلاء المشككين الذين يحاولون أن يجدوا ثغرة
ينفثون من خلالها سمومهم - وهيهات - ان الدم فيه مكونات
كثيرة تجرى فيه .. منها الحديد والفوسفات والكالسيوم ..
وغير ذلك من المكونات التى أظهرتها لنا التحاليل الحديثة ..

بل ان الميكروبات والجراثيم - وهى جسم مادي - تخترق الجلد
وتدخل الى الدم . . وتظل فيه فترة حضانتها حتى تتكاثر . .
وتقوم بينها وبين كرات الدم البيضاء معارك . . والشيطان ليس
مخلوقا من مادة الطين . . بل هو مخلوق من مادة اكثر
شفافية . . وهو غاية فى اللطف والدقة . . فكيف نستكثر أن
يخترق الجلد ويمجرى فى الدم كما تمجرى عشرات المواد الصلبة
ونحن لا نحس بها .

نسأل الله ان يعصمنا من الزلل . . والا يجعل للشيطان على
قلبنا من سبيل .



الفهرست

الفصل الأول

صفحة	
٢	● من هو الشيطان
٦	● وصف الشيطان
١١	● بداية المعصية
١٣	● حقيقة ابليس
١٦	● لا فضل لعنصر على آخر
١٩	● سقط في الغواية

الفصل الثاني

٢١	● معصية الشيطان
٢٤	● الكبرياء لله وحده
٢٨	● الدنيا دار اختبار
٣١	● على أبواب المساجد

الفصل الثالث

٣٧	● آدم والشيطان
٤٠	● ليست جنة الخلد
٤٤	● أول مناهج السماء
٤٨	● بداية المعصية
٥١	● وظهرت عورة الإنسان

الفصل الرابع

٥٧	● معصية آدم .. ومعصية ابليس
----	-----------------------------

الفصل الخامس

- مدخل الشيطان إلى الإنسان ٧١
- الفرق بين الوسوسة والفتنة ٧٥
- البحث عن الضعف ٧٨
- الوسوسة في الصلاة ٨٠
- تفوق عنصر الشيطان ٨٤
- التكامل وليس التكرار ٨٧

الفصل السادس

- الشيطان وجنوده ٩١
- الشيطان في بدر ٩٤
- لا عذاب على القهر ٩٧
- ونصر الله رسوله ١٠٦